الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي- تبسة

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

المعالم النصية في كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" "للزرقاني"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين

فاطمة قبلي

مروى كراسع

تحت إشراف الأستاذ:

الطيب العزالي قواوه

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tébessi - Tébessa

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
رزيق بوزغاية	أستاذ التعليم العالي	رئيســـا
الطيب العزالي قواوه	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا ومقررا
رشيد عمران	أستاذ محاضر "ب"	مناقشا

السنة الجامعية:2022/2021

شكر وعرفان

أول من يشكر ويحمد آناء الليل و أطراف النهار، هو العلي القهار، الأول و الآخر و الظاهر و الباطن، الذي أغدقنا بنعمه التي لا تحصى، وأفاض علينا برزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد و الثناء العظيم، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمد ابن عبد الله" عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم، أرسله بالقرآن المبين، فعلمنا ما لم نعلم، وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كله و الشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشقة التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه، من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة، بالأخص من له الحق بالثناء و الوفاء و التقدير الدكتور المشرف **"الطيب العزالي قواوه"** الذي بذل ما بوسعه لإعانتنا في بحثنا هذا وصاحب الفضل في تصويبه وتصحيحه.

كما نشكر أيضا كل أساتذة و عمال قسم اللغة و الأدب العربي في جامعة تبسة.

وكل من مد لنا يد العون من قريب كان أو بعيد.

إهداء

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: 237)

تمر السنين وتتعاقب الأيام محملة بأحلام وآمال لطالما تمنيت تحقيقها، فالحمد لله الذي أكرمني وأعانني فكتب لي النجاح.

أهدي هذه المذكرة ثمرة جهدي المتواضع لخمس سنوات في الجامعة...إلى من خصه الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...*أبي الغالي*

إلى التي عندما حملتني فرحت و صبرت وعندما أنجبتني تألمت وعندما ربتني تعبت و عانت، وإلى من تنفجر الكلمات عند وصف حنانها وتخجل الألفاظ عن شكر عطائها *أمي الغالية*

إلى إخوتي *ياسين* و *هارون* وفقهم الله ورعاهم، والغالية *أمل* وزوجها *حمزة*

وإلى صديقاتي اللواتي أعانوني ولو بكلمة*أميرة*و*غفران*و*روميسة*و*إيناس*و*فاطمة*و*سلوى*

وإلى *عمي وزوجته* وأخوي الذين لم تلدهم أمي *أشرف و نبيل*

وإلى *خالاتي و عماتي و جدتي* وبالأخص خالتي الصغرى *أحلام وبناتها*

ودون أن أنسى الأستاذ الدكتور *رزيق بوزغاية* الذي لم يبخل عليا بالنصيحة طيلة مشواري.

وإلى كل من نستهم مذكرتي و لم تنساهم ذاكرتي

فاطمة

مقدمة

الحمد لله الذي أقسم بمكانة القرآن الكريم رفعة وشرفا، ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الواقعة 75.80). فهو أفضل ما ضاعت لأجله الأوقات وقضيت فيه الأعمار، كلام الله جل وعلا، وأعظم رسالة سماوية، وأعلاها مكانة و أجلها معجزة، وأكملها نظاما ومنهجا. أما بعد:

فيعد النص القرآني من أهم النصوص التي عرفتها البشرية قديما و حديثا إذ يمتاز بالتكامل والإنسجام. فإنه لا يمكن فهم النصوص مجزأة، وبناءا على ذلك فإنه يتوجب على الذي يستقرىء النص القرآني أن يتعامل معه انطلاقا من بنيته النسقية والسياقية. فهذا ما أوتي به نبي الله و الصحابة من بعده وسار على نهجهم الخلف من العلماء من اجتهاد وتدبر للكتاب العزيز ودراسة علومه فاعتنوا وبذلوا أعمارهم في التأليف و التصنيف، ومن بين هؤلاء الإمام عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" . والذي يعد حجة دامغة في مجال دراسة علوم القرآن من جميع نواحيه الداخلية و الخارجية وذلك من خلال محكمه و متشابهه وتفسيراته. وفي هذا السياق يتجه موضوع بحثنا بعنوان "**المعالم النصية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني**".

فإن انسجام وسبك آيات القرآن وتوافق مكان و زمان وقوعه، جعل منه علما شاسعا تتفرع منه العديد من العلوم وهذا ما أثار جدلا واسعا في الدراسات القرآنية، ومنه نتساءل ما مدى تطبيق المعايير النصية التي جعلها علماء النص معيارا ومقياسا لمفهوم نحو النص، في القرآن لكونه أفضل نص عربي وأرقاه وأصلحه لتطبيق هذه المعايير؟ وما مدى فهم دور النص والكشف عن المراد منه في السياق القرآني و المقام ؟.ومنه تتفرع العديد من الأسئلة التي من شأنها الإلمام بالجوانب المختلفة للموضوع وهي كالتالي: من هو الإمام الزرقاني ؟ . ماذا شملت دراساته حول علوم القرآن ؟ . ما هي إضافاته في مباحث علوم القرآن ؟. وما هي أهم المصادر التي اعتمد عليها ؟.

وأما اختيارنا لهذا الموضوع فكانت له عدة أسباب منها:

ذاتية وهي: رغبتنا في الإطلاع على الكتب التي تتعلق بالقرآن الكريم، خاصة مؤلفات الإمام الزرقاني وذلك لمكانته العلمية في عصره.

وموضوعية: القيمة العلمية لكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، إذ يعد إضافة فكرية ومعرفية في مجال القرآن الكريم وعلومه. وكذلك المساهمة في إبراز معايير النصية والسياقية في هذا الكتاب.

ولقد وجدنا بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع علوم القرآن كثيرة، فاستعنا ببعضها في دراستنا منها: كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. كتاب البرهان في علوم القرآن لزركشي. تفسير الطبري من كتاب جامع البيان في تفسير آي القرآن. نفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد معبد.

اعتمدنا في هذا البحث على مقاربة تأصيلية

ولإنجازه اتبعنا خطة تتكون من مقدمة و مدخل وفصلين وخاتمة:

تحدثنا في المقدمة عن الموضوع بصفة عامة –باختصار– وسبب اختيارنا لهذا الموضوع والمنهج الذي اتبعناه. وتناولنا في المدخل، مفاهيم أساسية وتمثلت في: مفهوم النص (في المعاجم العربية، وعند العرب القدامى، وفي الدراسات الحديثة)، مفهوم النصية (معايير النصية). وفي الفصل الأول: المعالم النسقية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن ، بدأته بتمهيد يحتوي أولا على: التعريف بالإمام الزرقاني وكتابه. وثانيا: التعريف بالمعالم النسقية ، ومن ثم المطلب الأول: الناسخ و المنسوخ، المطلب الثاني: في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، الطلب الثالث: في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه، المطلب الرابع: في محكم القرآن ومتشابهه ، المطلب الخامس: في أسلوب القرآن الكريم، المطلب السادس: في إعجاز القرآن وما يتعلق به.

والفصل الثاني: المعالم السياقية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن ، افتتحه بتمهيد حول المعالم السياقية، ومن بعد المطلب الأول: في نزول القرآن ، المطلب الثاني: في أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن، المطلب الثالث: في أسباب النزول، المطلب الرابع: في المكي و المدني من القرآن الكريم، المطلب الخامس: في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به ، المطلب السادس: في القراءات و القراء و الشبهات فيهما، المطلب السابع: في التفسير و المفسرين وما يتعلق بهما.

و أما الخاتمة فتناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

ولإتمام هذا العمل واجهتنا بعض الصعوبات و هي كالآتي: كثرة المراجع التي تتناول المسألة الواحدة من عدة أوجه واختلاف الآراء فيها ، صعوبة الموضوع في حد ذاته وذلك لتناوله مسائل متعلقة بالنص القرآني.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بفائق الشكر والاحترام إلى صاحب الصدر الرحب أستاذنا المشرف الدكتور الطيب العزالي قواو ه. الذي كان لنا سندا و داعما في مشوارنا ، مما هونا علينا الصعوبات التي اعترضتنا. طالبين من المولى حفظه و رعايته

وإنه لمن دواعي الفخر والإعتزاز أن نسترشد ونستضيء أكثر من ملاحظات السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، التي صوبوها في ما أعوج من هذا البحث.

هذا ولسنا ندعي بلوغ الكمال، لأن الكمال لله وحده، غير أننا قد بذلنا قصارى جهدنا لإخراجه على الحال الذي هو عليه الآن.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

مدخل: المفاهيم الأساسية

مدخل: المفاهيم الأساسية:

أولا: في مفهوم النص:

يعد النص من أهم المجالات المعرفية التي تتطلب إجراءات معينة لدراسته والوقوف على دلالاته وفك شفراته، لذا يتوجب للقيام بهذه المهمة وجود متخصصين في حقول اللسانيات تكون لديهم دراية بالعلوم اللغوية، والسعة المعرفية والاتجاهات الفكرية فالنص يحتاج إلى طرق مختلفة لتحليله انطلاقا من مفهوم كل باحث .

وفي هذا المدخل سوف نتطرق إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية وهي النص والنصية.

1-النص في المعاجم العربية:

حيث عرفه الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 173 ه) على أنه« نصصت الحديث إلى فلان نصا أي رفعته قال ونص الحديث إلى أهله فإنه الوثيقة في نصه ...ونصصت الشيء: حركته، ونصَصْت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء، يقال نص ما عنده أي استقصاه. ونصُّ كل شيء: منتهاه، وفي الحديث (إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى) أي بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأمر، يريد بذلك الإدراك والغاية وقوله: أحق بها أي تحفظونها وكينونتها عندهم » [1]

ومن خلال هذا التعريف يرى الفراهيدي أن النص هو الرفع والتحريك، ومنتهى الشيء ومنه يقول رزيق بوزغاية معلقا على هذا التعريف الذي أورده في مؤلفه ورقات في لسانيات النص:« تنتقل معاجم اللغة بعد الفراهيدي ه ذا المفهوم بعينه وإن ذكرت من الدلالات جديدا فهو يدور في فلك ما سبق من كون النص ظهورا وبيانا» .[2]

وعرف أيضا ابن منظور (ت 711 ه) النص من خلال عدة معاني أهمها، قائلا: « النص: رفْعُك الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نَصًّا: رفَعَه. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند... والمنصة تظهر عليه العروس لترى

1 معجم العين ،الخليل أحمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص 288.

2 ورقات في لسانيات النص، رزيق بوزغاية ، دار المثقف، باتنة،2018، ص 54.

وقد نصها وانتصت هي، والماشطة تنصت العروس فتقعدها على المنصة ... من قولهم نصصت المتاع إذ بعضه على بعض... والمنصة: الثياب المرفعة والفرش الموطأة.

قال أبو عبيدة: النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها ... وأصل النص أقصى الشيء وغايته ونص الأمر بشدته... ونص الرجل نصّ إذا يسأله من شيء حتى يستقص ما عنده... قال أزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها.

والنصة: ما أقبل على الجبهة من الشعر، والجمع نصص ونصاص... وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام، قال الراجل: فبات منتصا وما تكردسا » [1]

ومن خلال ما ذهب إليه ابن منظور في مفهوم دلالة مصطلح النص فيمكننا القول أنه يندرج نصه معنى معين وهو الرفع والإظهار.

وكذلك أورد الفيروز أبادي (ت 811 ه) في مادة (نصص) قوله: « (نص) الحديث إليه رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه ومنه فلان ينص أنفه غضبا وهو نصاص أنف والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلانا: استقصى مسألته عن الشيء والنص إسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما وسير نصه ونصيص جد رفيع. ونصيص القوم عددهم والنصة: لعصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع وجهها من قدم رأسها، وحية نصنا أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه: استقصى عليه وناقشه وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع ونصنصه: حركة وقلقله والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض » [2]

ومن هنا نستنتج أن أكثر ما تدل عليه كلمة نص لغويا من خلال جمعنا للتعاريف المنسوبة إليه من المجامع العربية اتضح لنا أنه على الرغم من اختلافها إلا أنها متشابهة فهي تدور حول:

- الظهور والرفع.
- منتهى الشيء وغايته.
- فهم الشيء وإدراكه.
- فإن ماهيته أن يبين الكاتب نصه ليفهمه المتلقي.

---

1 لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، النيل القاهرة، 10 أبريل 2007، (مادة نصص) ط1، ص 4441، 4442.

2 القاموس المحيط، الفيروز أبادي: دار الحديث القاهرة، 1429 ه، 2008م، ط1، تع: أسسه محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، (مادة نصص)، ص 1615، 1616.

2-النص في اصطلاح العرب القدامى:

أول من أشار إلى مفهوم النص في الاصطلاح الإمام الشافعي (ت 204 ه) فذكر النص في قوله « فجماع من أبان الله لخلقه في كتاب، مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه فمنها ما أبانه لخلقه نصا مثل جمل فرائضه في أن عليهم صلاة وزكاة وحجا وصوما وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونص الزنا والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وبين لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك مما بين نصا. ومنه ما أحكم فرضه بكتابه وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائض التي أنزل من كتاب ومنه ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس اله فيه نص حكم ..... » [1]

على إثر ما ورد في رسالة الشافعي لمفهومه لمصطلح نص في مواضع مختلفة تبين من خلالها أن النص عنده مقترن بالقرآن الكريم من بين هذه المواضع أحكام الفرائض والتحريم والنهي ، ونستنتج من خلال قوله هو مجموعة من أحكام الصريحة المنصوص عليها أكان في القرآن مثلا أو في الحديث والتي ترد واضحة لا حاجة فيها إلى التأويل.

وفي نفس السياق نجد كذلك الجرجاني (ت 471 ه) يعرف النص بقوله: « النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى من المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى. فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغ تم بغمي، كان نص في بيان صحبته. ومالا يحتمل إلا معنى واحد، وقيل مالا يحتمل التأويل » [2] كذلك يقصد في تعريفه هذا أن النص هو ذلك الكلام الصريح والواضح الذي لا يحتاج إلى تأويل ولا يحتمل أكثر من معنى.

عند التهانوي (ت 1158 ه) أورد في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون تعريف مطولا للنص وأنواعه وأقسامه واختلاف الشافعية والحنفية في ذلك ، بأكثر شرح وتوسيع وتفصيل:« النص بالفتح والتشديد هو عرف الأصوليين يطلق على معان، الأول كل ملفوظ مفهوم المعنى في الكتاب والسنة سواء كان ظاهر أو نصا أو مفسرا حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا اعتبارا

1 الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص21

2 الشريف الجرجاني: المعجم التعريفات، تح: إبراهيم أبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لينان، ط4، 1998،(مادة نصص) ص 309.

منهم للغالب، لأن عامة ما ورد من صاحب الشرع نصوص وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم: عبارة النص إشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص... »

بالرغم من التعريف العديدة والمختلفة للنص والتي تؤكد تشبعه واختلاف الرؤى حوله لدى الباحثين إلا أنه يمكننا القول أن هذه التعريفات المتعددة التي ذكرناها تصب في معنى واحد لم يخرج من معناه الأصلي المتمثل في كونه نظاما كليا ينطوي على أبعاد دلالية ومعرفية تشكل وحدة تواصلية.

3-النص في الدراسات الحديثة:

النص في أصل الاشتقاق في معظم اللغات الأوربية الحديثة يعني باتفاقها "**النسيج**" نجده على ذلك في الفرنسة (texte) والإسبانية (texto) والإنجليزية (text) والروسية (tekla). وقد أخذت هذه الألفاظ كلها من أصل واحد هو اللاتينية التي تطلق على النص (textus) ويعني في هذه اللغة المنقرضة أيضا (النسيج) أي أن النص في تراكبه يشبه النسيج فاجتماع كلماته وتناسقها بنيويا ومعنويا كتضافر خيوط النسيج لتشكل قطعة واحدة.

وعرف **جان ديبوا** Jean Dubois النص قائلا:« نسمي نص مجموعة ملفوظات خاضعة للتحليل. فهو بالتالي عينة من السلوك اللغوي المكتوب أو المنطوق [....] يرى يلمسليف أن النص بمفهومه العام هو ملفوظ منطوق أو مكتوب، طويل أو قصير قديم أو حديث »[1]

فالنص عنده مجموعة من الكلمات مكتوبة أو منطوقة قديمة كانت أم حديثة.

وجاء كذلك على نفس هذا الرأي **جورج مونان** Mounin Georges في تعريفه للنص قائلا:« هذا المصطلح يمكن أن يشر إلا المسند المكتوب فقط، ولكن يشير أيضا إلى مدونة يستعملها اللساني » [2] فهو لا يقتصر على المكتوب فقط بل يعم كل المواضيع البحث سواء المكتوب أو المنطوق.

1 Jean dubois et autres: dictionnaire de linguistique et des sciences des langages, la rouss ; Bordas, 1999, P482

2 Georges Mounin et autre : dictionnaire de linguistique, DVE paris, 42 édition 2004, P323.

عند فان ديك Van Dijin: ويعرف النص على أنه: « أي أن أي تحديد له يقتضي نظرية أدبية وعليه أدى إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل وإنما على شكل وحدة أكبر وهي النص والتي هي البناء النظري التحتي المجرد لما يسمى عادة خطابا » [1] ومعنى هذا أنه أكد على ضرورة إعادة بناء الأقوال على أساس وحدة أكبر من الجمل وهذه الوحدة هي النص ويقول أيضا« منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة » [2] وفي تعريفه هذا يختلف فيه عن جان ديبوا وجورج مونان والنص عنده ضرورة أن يكون مكتوب فقط. ويرى نفسه ملزما على التفرقة بين الأقوال النصية والأقوال الغير نصية وفق مفهومه الحدسي للنص بقوله « ليس جميع المتواليات من الكلمات أو الجمل داخلة في مفهومنا الحدسي للنص » [3] القائم على اعتبار النص متوالية من الجمل المنتظمة والمنسجمة.

وكما نجد كذلك هاليدي ورقية حسن حاول الانطلاق من الأرضية التي تحرك فوقها فان ديك.

النص عند جون ميشال آدم Jean Michel Adam: في تعريف شامل يلم بجوانبه العديدة يقول فيه: « النص متتالية من الوحدات تمثل كلا يحمل دلالة واحدة المرتبطة فيما بينها مكونة مقاطع تنمو نحو نهاية » [4]، فالنص وحدة دلالية ليست فقط مجموعة من الجمل المنظمة بشكل خطي وتكون مع بعضها البعض باقة تسمى مقطعا و « تربط المقاطع فيما بينها مكونة وحدة متسقة ومنسجمة هي النص. » [5]

وجاء على أثر تعريفهم بعض اللغويين أمثال أزهر الزناد في قوله« النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض بخيوط تجمع أجزاءه في كل موحد. » [6]

---

1 لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص 29.

2 مدخل متداخل الاختصاصات، جون فان دايك، علم النص، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص 74.

3 النص وبنياته ووظائفه (مدخل أولي إلى علم النص)، فان ديك: ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996، ص 51.

4 Jean Michel Adam : Eléments de linguistique textuelle, Théorie et pratique de l'analuse textuelle, piere Mardaga, Luxembourg, 1990, p49.

5 Ibid, p49

6 نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الأزهر الزناد: بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 12.

يحمل هذا التعريف معنى النسيج.

ويعلق محمد الأخضر الصبيحي على تعريف الأزهر الزناد فيقول: « النص مرتبط في مفهومه من الأول بمفهوم النسيج والحياكة لما يبذله الكاتب فيه من جهد في ضم الكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة »[1]

تعريف رزيق بوزغاية :« النص نسق لغوي مستقل نسبيا له دلالة كلية ناشئة من تضافر عناصره الداخلية أو من تضافره مع السياق الخارجي » [2] ففي نظر بوزغاية النص هو النسق، فالنسق هو شبكة علاقات تربط العناصر اللغوية.

ثانيا: مفهوم النصية

ارتبط النص بمصطلح آخر لا يقل أهمية عنه يعرف بمصطلح النصية فهي مجموعة المعايير أو السمات التي تجعل من النص نصّا « أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نص يمكن أن طلق عليها "نصية" وهذا ما يميزه كما ليس نصًا. فلكي تكون لأن نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل في وحدته الشاملة » [3] حيث أنها تحقق وحدة النص منطوقا أم مكتوب حيث قال رزيق بوزغاية فيها «وقد اتخذنا بعض الدارسين أهم محطة في علم النص مثلما كانت المد لولية محور الدراسة الدلالية والأدبية محور الأدب. » [4]

والنصية أو الناصية من المفاهيم التي لاقت ترحيبا واسعا من قبل علماء النص، ويعود الفضل في نشوء هذا المصطلح ودلالته إلى روربرت د ي بوجراند ولفغانغ دريسلر في كتابهما الأول "مقدمة في علم النص"، فيقول: « سوف نعرف النص على أنمه واقعة اتصال معايير للنصية، وإذ اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق، فإن النص لا يتسم بالاتصالية آنذاك » [5] ومنه نستنتج أن معايير النصية هي التي نميز بها النص عن اللانص شكلا ومضمون، ولكن هذا المفهوم عرف نضجه التام والحقيقي في كتاب "د ي بوغراند" النص والخطاب والإجراءات حيث حددها وفق لسبعة معايير

1 مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، دار العريف للعلوم ناشرون (د ط)، (د ت)، ص20.

2 المرجع السابق، رزيق بوزغاية، ص 58.

3 لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص 13.

4 المرجع السابق، رزيق بوزغاية، ص 67.

5 مدخل إلى علم لغة النص، روبير ديبوجراند ولفغانغ دريسلر، ترجمة أبو غزالة وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1992، ص 25.

وأخذها عنه الدارسون من بعده حيث قال: « وأن أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساس مشروعا الإيجاد النصوص واستعمالها » [1]

1-المعايير النصية:

1) الترابط اللفظي أو السبك (cohésion): «ومعناه وجود قرائن لفظية تدل على الترابط الجمل داخل النص الواحد، وهو يعتمد على ثلاث وسائل: الترابط المعجمي، والترابط النحوي، والترابط الصوتي » [2]

2) التماسك الدلالي أو الحبك (cohérence): الذي يختص بدراسة الروابط المعنوية والدلالية الذي بدوره يحقق تماسك الجمل وتضافرها وهو «ما تنشط به من عناصر المعرفة لإيجاد الترابط لمفهومي واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص ومعلومات عن تنظيم الأحداث وأعمال والموضوعات والمواقف.» [3]

3) القصدية intentionnalite: ويعني أن النص هو عمل مقصود ليس عشوائي على أن يكون مترابط، تتعلق بموقف منشأ النص «ومعناها وجود غاية مرجوة من إنشاء النص وهي تتعلق بالوظائف اللغوية كما حددها الدارسون كالتعبير والتواصل.» [4]

4) المقبولية acceptabilite : وهي «يتضمن موقف مستقبل النص إجراء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك وإلجام حيث يعطي المتلقي صورة جديدة للنص من خلال تفسير أفكاره وفك شفراته.» [5]

5) الموقفية Situationalite: «وهي الظروف والملابسات التي تحيط بإنتاج النص وتلقيه، والتي تجعله يتصف بدرجة مقبولة من التعبيرية أو التواصلية». [6]

6) التناص Intertextualite: ويتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وهو من أهم العناصر المحققة للنهاية فالنصوص تكتب إطار في خبرة سابقة.

---

1 النص والخطاب والإجراء، روبيرد دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص 103.

2 وراقات في لسانيات النص: رزيق بوزغاية، ص 67.

3 المرجع السابق: النص والخطاب والإجراء، ص 103

4 وراقات في لسانيات النص ، رزيق بوزغاية، ص 68

5 مرجع سابق، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

6 وراقات في لسانيات النص ، رزيق بوزغاية، ص 68

7) الإعلامية (informativite): «هي مدى التنوع الذي تخطى به الوقائع النص عند المتلقي فكلما كان هناك ابتعاد عن توقع القارئ مما اعتاد عليه وألفه زادت الكفاءة الإعلامية للنص، وهي نسبية تختلف باختلاف النصوص والمتلقي»[1]

إذن هذه هي المعايير التي تجعل من النص نصا التي قدمها بوجراند، فإنها تصلح هذه المعايير للنصوص الأدبية لا غير فإنه لا يمكن أن نقيس نصية القرآن بهذه المعايير كلها مراعاة لقداسة القرآن الكريم.

نلاحظ في هذه المعايير السبعة: إنها ليست خصائص متعلقة بوصف النص في ذاته فمنها من يتعلق بمنتج النص مثل عنصر القصدية أو بمتلقي النص مثل المقبولية والإعلامية والملحوظ أيضا تلك الخصائص المتعلقة بالنص لا تمثل بدقة مفهومنا للنصية بوصفها معايير لتكوين النصوص، بل هي أحيانا مجرد ظواهر تصاحب النص وليس سمة تميزه عن بقية أشكال اللسانية.

1 وراقات في لسانيات النص، رزيق بوزغاية ، ص68-69.

جدول دراسة كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن

المعالم النسقية	المعالم السياقية
–في النسخ. –في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره. –في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه. –في محكم القرآن ومتشابهه. –في أسلوب القرآن الكريم. –في إعجاز القرآن وما يتعلق به.	–في نزول القرآن. –في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن. –في أسباب النزول. –في المكي والمدني من القرآن الكريم. –في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به. –في القراءات والقرّاء والشبهات فيهما. –في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما.

و يتبين لنا من خلال هذا الجدول والذي هو خلاصة لدراسة التي سوف نقوم بها حول كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني الذي يتضح لنا من خلالها أن المؤلف قسم بحثه إلى قسمين، قسم متعلق بالجوانب السياقية وقسم متعلق بالجوانب النسقية للقرآن. وعليه «فالتماسك النصي مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة سواء الداخلية أو الخارجية، تشترك وتتضافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصية »[1]

ومن ثمة فإن المضطلع بدراسة القرآن ستوجب عليه أن يكون على دراية بما هو سياقي لفهم الأسباب والمواقف الخارجية، بالإضافة إلى ما هو نسقي الذي يهتم بالنص القرآني وتخذ منه وثيق بليغة الأهمية.

[1] مقال حول الانسجام النصي وأدواته، للأستاذ الطيب العزالي قواوه، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد8، 2012، ص 66.

الفصل الأول:

المعالم الفلسفية في تيار مناهل العرفان في علوم القرآن

تمهيد :

1- التعريف بالإمام الزرقاني:

يعد الإمام عبد العظيم الزرقاني يجد الإمام عبد العظيم الزرقاني علم من الإعلام الذي كان له الجهد والأثر البليغ في الدعوة إلى الله في زمن كثرت فيه الشبهات والأفكار المناوئة للإسلام ، وسنتناول في هذا البحث التعريف بحياته الشخصية والعلمية .

1 -1- اسمه ونسبه ومولده :

اسمه : هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، يضم الزاي وتشديدها [1]

نسبه: الزرقاني، نسبة إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية [2]

مولده : ولد الإمام رحمه الله في مطلع القرن الرابع عشر هجري ببلدة تسمى زرقان من قرى محافظة منوف بمصر ، وقد كانت مصادر ترجمته شحيحة رحمه الله .

1-2- حياته العلمية:

الإمام من علماء الأزهر، حيث التحق الشيخ رحمه الله بالمعهد الأحمدي عام (1911 م) ثم تخرج بكلية أصول الدين، وقد نقل إلى محمد طنطا، ثم عين إماما، ثم نقل مدرسا بمعهد القاهرة، ومنه إلى كلية أصول الدين الأزهر الشريف (1939 م) حيث درس بها علوم القرآن والحديث بتخصص الدعوة والإرشاد.[3]

1-3-مؤلفاته ووفاته:

مؤلفاته: من المؤلفات التي ألفها الشيخ رحمه الله:

1**:مناهل العرفان في علوم القرآن :** هذا المؤلف من أجل مؤلفه الإمام فالقارئ فيه يلمس رسوخ المؤلف في العلم حيث عرض مسائل علوم القرآن وناقش الأقوال ورجعها فأطال بما يعني القارئ

---

[1] رسالة في الوعظ وإرشاد وطرق هما ، عبد العظيم الزرقاني ، تح . عبد القادر المهدي ، د ط . زواقد،2012 م ص 18 .

[2] كتاب مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) ، خالد بن عثمان السبت . د ط ، دار بن عفان ، د ت ، ج، ص44

[3] كتاب مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) ، خالد السبت ، ج ص44 والأعلام الزكلي ، ج6 ، ص 210

في علوم القرآن عن الرجوع إلى بعض المصادر الحديثة، وهو يعد وسيلة استخدمها الإمام في تحقيق اسمه أهدافه دفاعا عن الإسلام حيث عالج شبهات المناوئين عند الإسلام وطعنات المستشرفين.

2: **المنهل الحديث في علوم الحديث:** فهو أيضا كان تصد وإبعاد الأشواك التي بثها المستشرفون في كتبهم.

3: **رسالة الوعظ والإرشاد وطرقهما :** فهذي الرسالة مما جاءت به فريحة الشيخ توحي لنا الاهتمام الكبير لمجال الدعوة إلى الله .

4: **البدع وموقف الإسلام منها :** وهذي أيضا مما أصدر من مؤلفات حيث ترسم هذه الرسالة هدف الإمام في ترسيخ مبدأ الإتباع، وترك نبد طرق الابتداع.

وفاته: توفي الإمام رحمه الله بالقاهرة سنة (1367 ه و 1948 م)

2- التعريف بكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن :

سخر الله تعالى وخدمة علماء الأمن المحمدية لخدمة الكتاب العزيز ، فجدوا من كل صوب وجوب في خدمته العلمية ولقد كثرت المؤلفات في علوم القرآن، وهاهو الإمام عبد العظيم الزرقاني من الأعلام المعاصرة الذي يعد كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"، أفضل المؤلفات الحديثة في هذا المضمار.

اسم الكتاب وسبب تأليفه وأهم طبعاته ويتضمن النقاط الآتية.

2-1-**اسمه:** على طريقة أغلب المؤلفين سار الإمام وأورد اسم الكتاب في مقدمته مناهل العرفان في علوم القرآن.

2-2- **سبب التأليف:** أشار المؤلف لسبب تأليف هذا الكتاب فقال :« كتبته تحقيقا لرغبة طلابي المتخصصين في الدعوة والإرشاد من كلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية »[1]

وبما أن الكتاب ألفه الزرقاني خصيصا للطالبة والواضح لنا أن نجد ألفاظه سهلة وبسيطة يحسن فهمه وشاملا لكل ما يتعلق بعلوم القرآن.

2-3- **أهم طباعته** :طبع كتاب مناهل العرفان عدة طبقاته، نذكر منها:

1 كتاب مناهل العرفان للزرقاني، ج 1 ، ص11

1) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، تح : د. بديع السيد اللحام ، ط 3 ، منشوراته ، إحياء الكتاب ، عيس البابي الحلبي ، د .ت .
2) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، د.ط ، دار الفكر ، ببيروت 1408 ه/1988 م .
3) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، د ط ، دار الفكر ، ببيروت ، 1408 م، 1988 م .
4) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : فواز أحمد زم رلي ، ط 1 دار الكتاب العربي ببيروت 1415 ه /1995 م
5) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد العظيم الزرقاني ، راجعه : محمد علي قطب ويوسف الشيخ، د.ط ، المكتبة العصرية ، ببيروت ، 1996 .

وغيرهم من الطباعات ، أما النسخة التي أعتمد في هذا البحث فهي من تحقيق فواز أحمد زمرلي في طبعاته الاثنين جزء الأول، والثاني، فهي حسب علم نا أحسن الطباعات من حيث التحقيق والتدقيق.

3- التعريف بالمعالم النسقية:

من أجل تحديد المعالم النسقية في الكتاب نحتاج إلى تحديد المقصود بالنسق فهو يعد مصطلح من بين أهم المصطلحات الرائجة في حقل الدراسة الأدبية، فلما كان النسق أهم العناصر التي يتضمنها النص بمختلف أنواعه سواء كان شعرا أو نثرا فلا مانع لنا في الخوض في جذوره قصد الكشف على دلالته اللغوية، على اعتبار أن اللغة أسمى الطرق لتواصل الفرد مع عالمه الاجتماعي، فهذا ما يدفعنا إلى العودة للمعاجم اللغوية القديمة لفحص هذا المصطلح .

3-1- النسق لغة :

وردت لفظة نسق في معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي (100 ه .18 م) «والنسق من كل شيء ما كان على نظام واحد في الأشياء، ونسقته نسقا نسقته تنسيقا، ونقول: انتسقت الأشياء بعضها غلى بعض أي تنسقت» [1]

وجاء التعريف في معجم لسان العرب مع شيء من التفصيل يظهر في قوله : «النسق في كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء ونسقت نظمه على السواء، وانتسق هو، وتناسق، والاسم النسق، وقد انقسمت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت، والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا» [2]

ونفهم من التعريفين السابقين أن النسق هو انتظام الشيء وفق طريقة واحدة، وقال: «نأسف بين أمرين أي تابع بينهما » [3] أي جاعل أمر الثاني تابع للأول ، وبذلك يكون أمران منتظمين في تركيبهما وفق نسق واحد .

فجاء كذلك توضيح لمدلول الجذر اللغوي "نسق" في معجم المقاييس فيقول: « النون والسين والقاف أصل صحيح بدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق: جاء نظام واحد قد عطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: ثغر نسق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية»[4]

ومنه نستنتج معنى النسق بمجموع ما يحمله من معاني في اللغة العربية فهو: نظام أشياء، أو عطفها على بعضها وتتابعها، ومنه فإن الدلالة اللغوية لمصطلح "نسق" يمكن تحديد معناهما في اللغة بأنظمة أشياء، أو تتابعها وتتاليها في نظام واحد.

وتعني كلمة النسق في اليونانية القديمة (système) التنظيم والتركيب والمجموع ومنه تعني هذه الكلمة على النظام، والكلية، والتنسيق والتنظيم والترابط كذلك في المعاجم أجنبية .

---

1 معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح عبد الحميد هنداوي، ج4، (باب السين والنون) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1، 1424 ه، 2003 م، ص 218 .

2 لسان العرب، ابن منظور، (باب القاف)، م10، دار صابر بيروت، د ط، د ت، ص353 ، 352 .

3 المرجع نفسه ص 353 .

4 معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس: تح، عبد السلام محمد هارون، ج5، (باب النون والسين) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط ، د ت ، ص420

3-2- النسق اصطلاحا :

لقد تعدد تعريفاته في الاصطلاح وتنوعت كل حسب مرجعيته ومن هذا المنطلق يجب علينا العودة إلى البدايات الأولى لظهور المصطلح حيث يبدو أنه تواجد مع الدراسات اللسانية، التي قام بها عالم اللسانيات فيرناند دي سوسير (Ferdinand de susurre)، فقد استخدم النسق في تعريفه للغة بقوله : « اللغة عبارة عن نسق من العلامات يعبر عن الأفكار ، ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة وأبجدية الهم والشعائر الرمزية وصيغ المجاملة والإشارات العسكرية..... ، ولكنها أعظم أهمية من هذه أنساق »[1]. فاللغة في تصور سوسير هي منظومة من العلامات تعبر عن فكرة ما وبذلك ضمن اللغة فكرة ، النسق التي يقض دبها « تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها عن بعضها البعض » [2]. وإذا كان وسوسير هو أول من جاء بفكرة النسق واستخدم أيضا مصطلح النظام système أما الذين جاؤوا بعده أطلقوا عليه مصطلح البنية لأنهم وجدوا أن الجمع والتأليف بين الوحدات اللغوية شبيهة بفعل البناء ، فاتخذوا هذا المصطلح شعارا لدراستهم باستعمال النسق «وقد رأى الباحثون أن سوسير في الحاجة على نظامية استعمال اللغوي قد سمي نسقا ما سماه خلفه بنية ، إلا أن البنية ليست حد يرد تعبير عن ذلك الكل الذي لا يمكنه رده إلى مجموعة أجزائه ، بل هي أيضا تعبير عن ضرورة النظر إلى الموضوع على أنه نظام ، أو نسق حتى يكون بإمكان إدراكه والتوصل إلى معرفته»[3]

لذا فإن مفهوم النسق ينطوي على مستوى معين من مفهوم النظام، وفي الوقت نفسه على مفهوم العلاقات بين أجزاء فيعني ذلك مفهوم البنية، ومن هنا نجد ثلاث مصطلحات متقاربة ومتباينة وهي النسق والنظام والبنية.

ونجد كذلك عند ليفي شتراوس (claude Lévi Strauss) أن البينة «نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض الواحد منها: أن يحدث تحولا في باقي العناصر

---

1 أنساق الثقافية في أدب بلاد الرافدين ، جاسم حميد جودة الطائي ، هبة محمد صبكان ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، 2015 ، ص 17 98

2 المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت 1977 ، ص 184

3 النسق الدرامي في شعر فوزي كريم، رحيم خريبط عطرية الساعدي، مازن عبد الحسين مشكور الظالمي، كلية الآداب جامعة الكوفة ص 176

الأخرى»[1] أما البينة عند سويسير فقد اقترنت بالنسق والنظام، فهو لم يصرح باللفظة ولكنه قارب المعنى بينها وبين النظام والنسق.

وإذا انتقلنا إلى علم الاجتماع " فتالكونت بارستونز" يقول بأن النسق «نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من التركيز المشتركة والمقررة ثقافيا، في إطار هذا النسق أوسع من مفهوم البناء »[2]، وعليه فالنسق عنصر مشترك بين أفراد المجتمع الواحد الذي تربطهم ثقافة واحدة ، فهو نظام يخضع له الجميع.

وعرف محمد مفتاح "النسق" حيث يقول« مهما اختلفت تعريفات النسق فإنه كان مؤلف من جملة أو عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها، وتتعالق لتكون تنظيما هادفا إلى غاية وهذا التجديد يؤدي إلى تتابع عديدة.» [3]

ونفهم من هذا أن النسق يكون مؤلف من عناصر أو جملة مترابطة هادفة لغاية وهذه الغاية موضوع النقد الثقافي الذي يهدف إلى تحليل هذه الغاية وإيجاد أبعادها الثقافية.

نستخلص في الأخير من كل هذه التعريفات أن النسق هو ذلك النظام الذي يربط عناصر متعددة لتشكل عنصر واحد متميزا ، ولكن الدارسون لهذا المفهوم كل حسب مجال دراسته، وأن المعالم النسقية هي المعالم المتعلقة ببناء النص في ذاته .

2 مونتاجية في أدبية الأدب ، عز الدين المناصرة، علم الشعريات قراءة دار مجدلاوي، عمان ط1، 2007 م، ص540

2 مدخل إلى مناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة لأخر، المركز الثقافي العربي، ط2 ، مغرب، 1986 ، ص 6

3 مفتاح النص من القراءة إلى التنظير، شركة للنشر، مغرب، ط1، 2000، ص 49.

المطلب الأول: الناسخ والمنسوخ

1-الناسخ لغة:

تكاد تتفق كتب المعاجم على أن النسخ في اللغة يدل على مطلق التغيير والتحويل والإزالة، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 ه) عرف بقوله : «إزالتك أمرا كان يعمل ثم ننسخه بحادث غيره» [1] وذهب ابن فارس (ت،395 ه) إلى أبعد من ذلك جذر الكلمة ، وأعطى مفهوما أعم للنسخ وقال: «النون والسين والخاء أصل واحد وهو يدل على رفع شيء وإثبات غيره مكانه أو تحويل شيء إلى شيء وكل شيء خلف شيء فقد انسخه ومنه تناسخ الأزمنة والقرون» [2]

أما ابن منظور (ت 395 ه) في لسان العرب فإنه ذكر مد النسخ بالمثال وقال : « النسخ: التبديل والرفع والإزالة والنقل» [3] وينطبق هذا التعريف إلى حد كبير مع تعريف الجرجاني.

ومنه فالنسخ عند اللغويين فهو يطلق على معنيين وهما الرفع والإزالة.

2-النسخ اصطلاحا :

تعددت التعريفات حول المعنى الاصطلاحي للنسخ، فأبو جعفر النحاس (ت 338) ذكر أن النسخ في القرآن يره لمعنيين هما: نقل الكتابة، ورفع حكم، يقول «النسخ : في القرآن على وجهينا أحدهما : نقل الكتابة من موضع إلى موضع وذلك في قوله الله تعالى : ﴿ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجاثية: 29] . "، والآخر هو رفع حكم ثابت لولاه لكان محكما ثابتا لخطاب أول»[4]

وأورد أبو الحسين البصري (ت 436 ه) تعريف دقيقا فقال : «قول صادر عن الله عز وجل أو منقول عن رسول الله أو فعل منقول عن رسوله يفيد إزالته مثل الحكم الثابت بعض صادر عن الله أو بنص أو فعل منقولين عن رسوله مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا» [5]

أما الزرقاني (ت 1367 ه) فالنسخ عنده: «رفع حكم شرعي بدليل شرعي... ومعنى رفع الحكم الشرعي قطع تعلقه بأفعال المكلفين لرفعه هو، فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع ، والحكم

---

1 كتاب الدين ، الفرهيدي الخليل بن أحمد ، تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، لبنان ، بيروت ، دار مكتبة الهلال، ج 4، (باب النون والسين) ص 201 .

2 المرجع السابق، معجم مقاييس اللغة، ج: 05 (باب النون والسين والخاء)، ص: 424.

3 المرجع السابق، لسان العرب، ج 3 (مادة نسخ)، ص 61.

4 كتاب النسخ و المنسوخ، النحاس أبو جعفر، مصر، القاهرة، مكتبة الإعلامية (1357، 1936 م)، ص 262

5 المعتمدة في أصول الفقه، البصري أبو الحسين محمد بن علي ، تح: خليل الحسين لبنان ، ط 1 ، 1403 ه ، ج: 1، ص 366 ، 367 .

الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين، إما على سبيل الطلب، أو الكف أو التكبير، وإما على سبيل كون الشيء سبب أو شرطا أو مانعا أو محيط أو فاسدا... والدليل الشرعي هو وحي الله مطلقا م‍تلوا أو غير متلو، فيشمل الكتاب والسنة» [1]

فهنا ذكرنا أبرز التعريفات للنسخ في الاصطلاح عند بعض الأصوليون حيث اتفقوا على أنه، رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فهذا هو السائد عند الأغلبية كما نجده أيضا عند ابن الحاجب في شرح العضد.

3-نماذج من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن :

الآية الأولى

قال الله تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ**﴾ [البقرة، 115]

قيل إنها منسوخة بقوله سبحانه: « ﴿ **فَوَل وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ لأن الآية الأولى تفيد جواز استقبال غير المسجد الحرام في الصلاة مادامت الآفاق كلها لله، وليس له جهة معينة. والثانية تفيد عدم جواز استقبال غيره فيها، مادامت تحتم استقبال المسجد الحرام في أي مكان تكون » [2]

حيث« قال علي بن أبي طلحة عن عباس قال "كان أول ما نسخ من القرآن القبلة " ... بل أنزل الله هذه الآية ... حتى قوله: قال ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم من التوجه إلى المسجد الحرام »[3]. فهو من بين التوجه للقبلة بذكر الآيات التي كانت تمهيدا للنسخ ، استقبال المقدس منها قوله تعالى:﴿ **يَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، يَهْدِي مَن يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ [البقرة : 142]

---

1 مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، تح : فواز أحمد زمرلي ، ج 2 ، دار الكتاب العربي بيروت ط 1 ، 1435 ه / 1995 م ص 138

2 المرجع نفسه، ص 199

3 الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حرم الأندلسي ، تح : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط ، د.ت ، ص22

قال ابن عاشور :« قد خفي موقع هذه الآية من الآية التي بعدها ، لأن الظاهر منها أنها أخبار عن أمر يقع في المستقبل ، وأن القبلة المذكورة فيها هي القبلة التي كانت أول الهجرة بالمدينة، وهي استقبال بين المقدس، وأن التولي عنها هو نسخها باستقبال الكعبة فكان الشأن أن يترقب من الطاعنين في هذا التحويل بعد وقوع النسخ أي بعد الآيات الناسخة لاستقبال بيت المقدس »[1]

أما عبد العظيم الزرقاني ومن القائلين بعدم النسخ في هذه الآية ودليل ذلك قوله «... وإذن فله أن يأمر عباده باستقبال ما يشاء من الجهات في الصلاة، وله أن يحولهم من جهة إلى جهة. وهذا المعنى –كما ترى– لا يتعارض وأن يأمر الله عباده وجوبا باستقبال الكعبة دون غيرها، بعد أن أكرهم باستقبال بيت المقدس، وحيث لا تعارض فلا نسخ، بل الآيتان محكمتان ويؤيد إحكام هذه الآية أن جملة ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ﴾ [البقرة 115] »[2]

ففي الآية الأولى الناسخة والآية المنسوخة ألا وهي الآية الثانية تتناول قضية واحدة وهي قبلة الصلاة، فهنا يوجد نسق واضح بين الآيتين فهو ربط بين آيتين مختلفتين. فالآيتين موجود تان في سورة البقرة وهذا دال على وجود نسق في النص ذاته.

الآية الثانية:

« ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[سورة البقرة 184] فإنها تفيد تخيير من يطيق الصوم بين الصوم والإفطار مع الفدية: وقد نسخ ذلك بقوله سبحانه: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة 185] المفيد لوجوب الصوم دون تخيير على كل صحيح مقيم من المسلمين »[3]

قال الزرقاني أن الآية الأولى ليست منسوخة والدليل على هذا قوله : «وقيل إن الآية محكمة لم تنسخ لأنها على حذف النفي والتقدير ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ ويدل هذا

1 التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج 2، الدار التونسية للنشر، 1984 ص 5.

2 المرجع السابق، مناهل العرفان، ص 199، ج2

3 المرجع نفسه، ص 201، 202، ج2

على هذا الحذف قراءة (يطوقنه) بتشديد الواو فتحها والمعنى: يطيقونه بجهد ومشقة، وإذن لا تعارض ولا نسْخ »[1]، وأيده في هذا محمد محمود حيث عرض قول الذين قالوا بالنسخ فقال: «قالوا: إن هذه الآية تفيد تخيير من يطيق الصوم بين الصوم والإفطار مع الفدية، وقد نسخ ذلك بالآية التي بعدها ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [سورة البقرة 185] لأن هذه الآية تفيد وجوب الصوم دون تخيير... »[2]

ثم نقل القول ابن عباس قائلا: «قال ابن عباس ليست منسوخة: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكين...» [3]

ثم علق عليه فقال: «فقول ابن عباس في رواية البخاري ليست منسوخة يدل على أنها محكمة..» [4]

ولكن هناك كذلك من عارضهم قولهم وقال بالنسخ ومن بينهم أبي جعفر أحمد إسماعيل النحاس الذي بدأ في تفسيره لهذه الآية بقوله : «قال أبو جعفر: في هذه الآية أقوال أصحها أنها منسوخة، سياق الآية يدل على ذلك والنظر والتوقيف من رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[5] وقد تقل أيضا أقوال أحمد بن شعيب وحديث علي بن الحسين وقول السدي والزهري الذين يدعمون كذلك أن الآية نسختها الآية التي بعدها، فال كذلك «قال أبو جعفر: الصواب أن يقال الآية منسوخة بقوله عز وجل:﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ لأن من لم يجعلها منسوخة جعله مجازا وقال المعنى: يطيقونه على جهد أو قال كانوا يطيقونه. فأضمر كان وهو مستغن عن هذا..» [6]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص 202

2 النسخ في القرآن بين المؤيدين والمعارضين، محمد دندا، الدار العربية للكتاب، ط1، 1418ه، 1996، ص 92.

3 المرجع السابق، النسخ في القرآن بين المؤيدين والمعارضين، ص93.

4 المرجع نفسه، ص93.

5 الناسخ والمنسوخ في كتاب اله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، ج1 (د ط)، تح: د.سليمان بن إبراهيم بن عبد الله، دار النشر، مؤسسة الرسالة، ص494.

6 المرجع نفسه، ص 496.

ونجد كذلك هنا أن الآيتين تحمل موضوع واحد وهو الصوم والدليل واضح على وجود نسق بينهما أن الآيتين اشتركا في كلمة واحدة وهي الصيام، فهما مختلفتان ولكنهما في سورة واحدة وهي البقرة وهذا كذلك دليل على وجود نسق النص.

الآية الثالثة:

« ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: 183] هذا التشبيه يقتضي موافقة من قبلنا فيما كانوا عليه من تحريم الوطء والأكل بعد النوم ليلة الصوم، وقد نسخ ذلك بقوله سبحانه: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ** ﴾ [البقرة 187]. كذلك قالوا: ولكنك تعلم أن التشبيه لا يجب أن يكون من كل وجه وإذن فالتشبيه صومهم، اسند لا بالتشبيه في قوله: ﴿ **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [البقرة 183] وعلى هذا فلا تعارض بين الآيتين، وحيث أنفي التعارض انتفى بالنسخ.» [1]

ومن هنا ندرك أن الزرقاني من المؤيدين لفكرة عدم وجود نسخ في الآية وكذلك عبد الله الشنطيقي يقول بهذا كذلك، ثم رجح عدم النسخ وبين أدلته على ذلك فقال: وللرد دعوى كون رمضان نسخ صيام عاشوراء أمور من بينها. « الله تعالى قال: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ وعاشوراء يوم واحد فخرج بذلك عن الآية وتبين عدم نهوض أدلة النسخ، والله تعالى في هذه الآية أخبر أن الصوم مكتوب علينا كما كتب على الذين من قبلنا، كسائر العبادات الشرعية والوظائف تكلفية على نحو ما كان من قبلنا ثم خص الله الليل كله بقوله: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ..** ﴾[سورة البقرة:187]، فكان تخصيص للعموم في صوم الزمان كله نسخا لما كان عليه من قبلنا» .[2]

ولكن هنالك من قال بالنسخ في هذه الآية مبرزا أدلته في ذلك «هذه الآية من كتاب الأحكام، وهو القسم الثالث من علوم القرآن بيانها على التفصيل وهي ناسخة للآية التي قبلها وهي قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾.» [3]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ص 202، ج2

2 الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم أبو بكر بن العربي المالكي، تحقيق عبد الكبير العلوي، المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، 1413، 1992، ط1، ج2، ص 24.

3 الآيات المنسوخة في القرآن الكريم، محمد الأمين الشنطيقي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ط، د ت، ص129-130.

فالآية الثالثة جاءت على نفس الآية الثانية والنسق الذي يربط الآيتين واضح أنهما في نفس السورة أن موضوعهما واحد مشتركهما في لفظة الصوم.

الآية الرابعة:

« ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَ بِيرٌ ﴾ [البقرة:217] فإنها تفيد حرمة القتال في الشهر الحرام وقد روي ابن جرير عن عطاء بن ميسرة أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:36] أفادت الإذن بقتال المشركين عموما والعموم في الأشخاص يستلزم العموم في أزمان. وأيدوا ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل هوازن بحنين وثقيفا.

بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة.ولا ريب أن ذا القعدة شهر الحرام...وقيل إن النسخ لم يقع بهذه الآية.إنما وقع بقوله سبحانه: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة:5] فإن عموم مكنة يستلزم عموم الأزمنة.» [1]

موقف ابن الجوزي من نسخ الآية:

قال ابن الجوزي:« اختلف العلماء هل هذه الآية المنسوخة أو محكمة على قولين:

–**أحدهما:**أنها منسوخة واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال:

أ –أنه قوله تعالى:﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[سورة التوبة:5] فأهل بقتلهم في الحل والحرم قاله قتادة﴾.» [2]

ب – قوله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قالها لربيع ابن أنس وابن زيد.

ج – قوله تعالى:﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ قاله مقاتل.

–**ثانيهما:** أنها محكمة وأنه لا يجوز أن يقاتل أحد في المسجد الحرام حتى يقاتل، وهذا قول مجاهد والمحققين ويدل عليه ما رواه من الحديث ابن هريرة وابن عباس رضي الله عنهما.

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان ج2، ص 203

2 نواسخ القرآن لابن الجوزي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط2، 1423، 2003، تح: د/محمد أشرف علي الملباري،ص 251.

في هذه الآية الأولى والثانية الناسخة والمنسوخة تربطهم نفس النسق وهو القتال، وهنا نجد أن النسق في القرآن كاملا والآيتين من سور مختلفة إحداهما من سورة البقرة والأخرى من سورة التوبة وهذا دليل على نسق النص خارج إطار الجملة الواحدة أو السورة الواحدة.

الآية الخامسة:

« ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ** ﴾ [البقرة:240] فإنها منسوخة بقوله سبحانه:﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[البقرة:234]. » [1]

يقول الزرقاني في نسخ هذه الآية: « وقيل: إن ذلك تخصيص لا نسخ،فإن المرأة قد تكون عدتها سنة كاملة إذا كانت حاملا، ويرد هذا بأن الآية الأولى تفيد اعتداد المرأة حولا كاملا إذا كانت غير حامل أو كانت حاملا و لم يمكث حملها سنة. والآية الثانية قد رفعت هذا جزما. وذلك محقق للنسخ على أن اعتداد حولا كاملا فيما إذا كانت المرأة حاملا ليس لدلالة الآية الأولى عليه بل الآية﴿**وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾[الطلاق:4] وهذا لا يتقيد بعام بل ربما يزيد أو ينقص.

وقيل: أن الآية الأولى تجعل للمتوفى عنها حق الخروج في أي زمن وحق الزواج. و لم تحرم عليها شيئا منهما قبل أربعة أشهر وعشر. وأما الثانية فقد حرمتهما وأوجبت عليها الانتظار دون خروج وزواج طول هذه المدة، فالحق هو القول بالنسخ وعليه أن تمكثها. وهما مقامان مختلفان. » [2]

ونرى كذلك ابن حزم في نسخ هذه الآية أنه لا نسخ فيها فلا يمكن أن يتقدم الناسخ عن المنسوخ حيث قال: « قوله تعالى﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم**...[البقرة:210] وليس في كتاب الله آية تقدم ناسخها على منسوخها وآية أخرى في الأحزاب﴿ **لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ**..﴾[الأحزاب:33]. » [3]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص203.

2 المرجع نفسه، ص 204.

3 المرجع السابق، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ص 29-30.

وجاء أبو جعفر النحاس بهذا الرأي: « قال جل وعز﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[البقرة:234] أكثر العلماء على أن هذه الآية ناسخة لقوله جل وعز﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**﴾[البقرة:240]. لأن الناس أقاموا برهة من الإسلام إذا توفي الرجل وخلف امرأته حاملا أوصى لها زوجا بنفقة سنة وبالسكن ما لم تخرج فتتزوج ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر وبالميراث.» (1)

وقد ذكر أبو جعفر عدة من أقوال الم ضاربةفي نسخ الآية وكذلك سبب النسخ والمعارضين تمام أيضا القائلين بعده النسخ إطلاقا لكنه حزم هذا الأمر بقوله "فممن قال إن الآية ناسخة وصح ذلك عنه: عثمان بن عفان وعبد الله بن زبير حتى قال: عبد الله بن الزبير: قلت لعثمان: لم أثبت في المصحف﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾ وقد نسختها﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ فقال يا ابن أخي إلا لا أغير شيئا عن مكانه» (2)

فشرحها ابن حزم أن المصحف من أثبت هذا ما أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل و لم يغير فيه شيئا.

وقد شرح كذلك ابن حزم بعضا ما ذكر في سبب النسخ.

في الآيتين المنسوختين نسق واضح لورودهن في نفس السورة وهي البقرة وكذلك بدأنا بنفس الكلام﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا** ﴾ واكتملنا بنفس الكلام ﴿ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ**﴾ وتغير فقط قليلا الصياغة في الآية الثانية ﴿**بِالْمَعْرُوفِ**﴾.

وأخيرا نستنتج أن العلماء لم يتفقوا على رأي واحد حول مسألة النسخ ويذهب الزرقاني في غالب المسائل إلى الرأي القائل بعدم النسخ.والموضوع الذي سبق لنا دراسته فهو من أهم المواضيع النسقية المتعلقة بنسق النص في ذاته.

---

1 المرجع السابق، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، ص70.

2 الإبانة عن معاني القراءات، المكي بن أبي طالب حموش القيسي، تح: د/ عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر،د ط، د ت، ص 41.

المطلب الثاني: في ترتيب آيات القرآن وسوره.

إن سور القرآن الكريم لم ترتب على حسب وقت نزولها، بل كان ترتيبها بأمر من رسول الله صلى عليه وسلم كما أن تاريخ نزول كل سورة غير معروف غالبا، أما عن ترتيب الآيات في كل سورة هو أمر توقيفي لا مجال لأحد بأن يجتهد في ذلك أو أن يغير من ترتيب آيات السور تبعا لرأيه. وفي هذا السياق نتطرق إلى مد.

1-**مفهوم الآية:** وجاءت كلمة الآية في اللغة دالة على معاني عدة من بينها ما ذكرها العلماء كالتالي "آيات القرآن جمع آية والآية تطلق في لسان اللغة بطلاقاته:

أولهما: المعجزة، ومنه قوله تعالى:﴿ **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾ [البقرة:211] أي: معجزة واضحة.

ثانيها: العلامة ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[البقرة:248] أي: علامة ملكه.

ثالثهما: العبرة. ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً**﴾ [البقرة] أي: عبرة لمن يعتبر.

رابعها: الأمر العجيب. ومنه قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾[المؤمنون:5]

خامسها: الجماعة: ومنه قولهم: خرج القوم ب آيتهم أي: بجماعتهم والمعنى: أنهم لم يدعوا وراءهم شيئا.

سادسها: البرهان والدليل، نحو قوله جل ذكره:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ [الروم:22] والمعنى: أن من براهين قدرة وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال." [1] فقد كان هذا التعريف للزرقاني شامل عدد فيهم موضع ذكر كلمة آية وآيات في القرآن الكريم وجاء الزركشي كذلك في بيتان مفهوم الآية قائلا "وأما في الاصطلاح فقال الجعبري في كتاب "المفرد في معرفة العدد": حد الآية قران مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة: وأصلها العلامة ومنه:﴿ **إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ**﴾ [البقرة:248] لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة. " [2] حيث قيل فيها أيضا "واستعملت

1 المرجع السابق، مناهل العرفان ج1، ص 274.

2 البرهان في علوم القرآن للزكرشي، تح: أبو الفضل ابراهي، دار التراث مصر، 1984، ط2، ج1، ص: 266.

في القرآن دالة على مقاطع مستقلة من السور القرآنية بحيث تتقسم السورة إلى آيات كل آية دالة على معنى مستقل، وبفضل هذا التقسيم أصبحت قراءة القرآن ميسرة ومعانيها واضحة، فضلا كما تمثله كل آية من مظاهر الإعجاز البياني". [1]

2-طريقة معرفة الآية:

لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوفيق من الشارع، لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هو محض تعليم وإرشاد.

ففي مذهب الكوفيين حسب ما ورد به الزرقاني والزركشي «فقد عدوا 'المص' آية و'المر' لم تعد آية وعدوا 'يس' آية و لم تعد نظيرها 'طه' آية، وعدوا 'حمعسق' آيتين وعدوا نظيرها 'كهيعص' آية واحدة، ولو كان مبني على القياس لكان الحكم واحد.'حم' آية في سورها كلها، و لم يعدوا من الآيات ما فيه 'ر' وهو 'الر' و 'المر' ومن كان مفردا مثل 'ص' 'ق' 'ن' شيئا منها آية فكل الفواتح عندهم آية إلا بعض وماعدا الكوفيين يقولون بأن للفواتح السنة بأية إطلاقا». [2]

وقال ابن المنير في البحر: «ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا 'مدهمتان'» [3]

وبعض العلماء يذهب إلى أن معرفة آيات منها ما هو سماعي توقيفي، ومنها ما هو قياسي ومرجع ذلك إلى الفاصلة وهي الكلمة التي تكون آخر الآية، وأما عدد آيات القرآن فقد اتفق العادون على أنه ستة ألاف ومائة آية.

3-فوائد معرفة الآيات:

«يزعم بعض الناس أنه لا فائدة من معرفة آيات القرآن. وللرد عليهم نذكر لهذه المعرفة ثلاث فوائد لا واحدة منها.

الفائدة الأولى: العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي، وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار.

---

1 المدخل إلى علوم القرآن، لكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن حلب، ط1، 1426، 2005، ص 134.

2 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص: 275.

3 المرجع السابق، البرهان، ص: 267.

الفائدة الثانية: حسن الوقوف على رؤوس الآيات عند من يرى أن الوقف على الفواصل سنة.

الفائدة الثالثة: اعتبار الآيات في الصلاة والخطبة، قال السيوطي ما نصه: «يترتب على معرفة الآيات وعددها وفواصلها أحكام فقهية، منها اعتبرها فيمن جمل الفاتحة، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات ومنها اعتبارها في الخطبة، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها إلى إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما حققه الجمهور[1]» فهنا أورد كل ما يتعلق بالآية في كتابة الكريم من موضع ومعنى وكيفية معرفتها والفائدة منها فنا خص الآية بمفردها لم يخرج لإطار الجملة ولكنه أتم بحثه وتطرق بعدها إلى:

4-ترتيب آيات القرآن

صرح جمع من أهل العلم بأن ترتيب الآيات في سورها على ما شوهد في المصاحف التي في أيدينا اليوم كان عن توقيف من النبي صلى الله وينص على ذلك، وأن كتابتها في المصحف على هذا الترتيب أمر متعين لا تحل مخالفته، ولا يجوز العدول عنه لأن في ذلك إفساد لنظم القرآن وقال الزرقاني في هذا « انعقد إجماع الأمة أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم في المصاحف، كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيهـــ بل كان جبريل يترل بالآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي على أصحابه ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معينا لهن السورة التي تكون فيها الآية، وموضع الآية من هذه السور، وكان يتلوها عليهم مرارا و تكرارا في صلاته وعظاته، وفي حكمه وأحكامه، وكان يعارض به جبريل كل عام مرة، وعارضه به في العام الأخير مرتين كذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف، وكذلك كان كل من حفظ القرآن أو شيئا منه من الصحابة، حفظه مرتب الآيات على هذا النمط وشاع ذالك وذاع، وملأ البقاع والأسماع، يتدارسون فيما بينهم،ويقرءونه في صلاتهم،ويـــأخذه بعضهم عن بعض، ويسمعه بعضهم من بعض بالترتيب القائم الآن، فليس لواحد من الصحابة والخلفاء الراشدين يدا ولا تصرف في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم، بل الجمع الذي كان على عهد عثمان لم يتجاوز نقله من المصحف

(1) المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص279، 280

في المصاحف، وكلا هاذين كان وفق الترتيب المحفوظ المستفيض عن صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أجل انعقاد إجماع على ذلك تاما لا ريب فيه».[1]

وفي هذا الموضوع نجد كذلك الزركشي الذي استدل على كون ترتيب آيات السور أمرا توقيفيا وذلك في قوله: « وأما يتعلق بترتيبه؛ فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، و لا خلاف فيه، ولذا لا يجوز تعكسيها» [2]

ومن هنا نستنتج أن جميع ما تطرق له الزرقا ني في معرفته مدى الانسجام بين آيات القرآن أو بين السور والتوافق بين الآيات المتتابعة والسور المتتابعة فقد أرجع أن ترتيبه توقيفي لا جدال فيه فيعتبر هذا ظاهرة نصية هي تلكم المعارف ذات العلاقة بنص القرآن الكريم كما أوردنا ترتيب الآية في كل سورة ترتيب منظم ومحكم وهي تتجاوز إطار الجملة.

5-مفهوم السورة:

عرف الزرقاني بالسورة لغة واصطلاحا وقد أوردنا ذلك بقوله: « السورة في اللغة تطلق على ما ذكره صاحب القاموس بقوله: "والسورة: المترلة، ومن القرآن معروفة، لأنها مترلة بعد مترلة، مقطوعة عن أخرى، والشرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة وعرق من عروق الحائط"

ويمكن تعريفها **اصطلاحا:** بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع قالوا: وهي مأخوذة من سور المدينة، وذلك احتملا فيه من وضع كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة، ويقام كل صف منه على صف» [3]

وقد اختلف اللغويون في معنى السورة لغة وهذا راجع لاختلافهم في أصل المأخذ فقال الأصفهاني في هذا « السور وثوب مع علو، يستعمل في الغضب و في الشراب، يقال سورة الغضب وسورة الشراب... وسور المدينة حائطها المشتمل عليها وسورة أرض سائرة ... » [4]

1 المرجع السابق، مناهل العرفان ج1، ص281

2 المرجع السابق، البرهان في علوم القرآن، ص256.

3 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص285.

4 مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج1، مكتبة نزار مصطفى البارز (د.ت)، (د.ط) ث226

وجاء كذلك ابن قتيبة في تعريفه هذا «ومثله سورة البناء وسوره، وأنشد: شرت إليه في أعالي السور، قال: وسور المجد أعاليه». [1]

حاول العلماء أن يضعوا تعريفا للسورة ورغم تعدد عباراتها أهل العلم في تعريف السورة وإن كان مضمونها واحدا، فمن بينها عرفها السمين الحلبي بقوله: «السورة من القرآن: القطعة منه المفتتحة بالبسملة المختتمة بخاتمتها...» [2]

ومن الآية انتقل بنا إلى السورة وترتيبها فسميت بذلك لسموها وشرفها وحصنها للرسول صلى الله عليه وسلم وجمعها بعد القرآن الكريم الذي هو معجزة على رسولنا، فهي بلغت من الطول بمقدار الذي أراده سبحانه وتعالى وفقد يحتوي القرآن على 114 سورة أولها الفاتحة وآخرها الناس، ويختلف فيها ما هم طوالا وما هم قصار، فأطول سورة فيه سورة البقرة وهي مائة وست وثمانون آية وأكثر آياتها الطول وأقصر سورة سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار وبين السورة والسورة سورة كثيرة مختلقة ويرجع هذا الاختلاف إلى الله وحده

6-حكمة تسوير السور

«لتجزئة القرآن إلى سورة فوائد وحكم:

منها: التيسير على الناس وتشويقهم على مدارس القرآن وتحفظه، لأنه لو كان سبيكة واحدة لاحقتها بها لصعب عليهم حفظه وفهمه...

ومنها: الدلالة على موضوع الحديث ومحول الكلام، فأن في كل سورة موضوعا بارزا نتحدث عنه...

ومنها: الإشارة إلى أن طول السورة ليست شرطا في إعجازها، بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر كسورة مؤثرة...

---

1 تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تج: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1398ه/1978م، (د.ط)، ص34.35

2 عمدة الحفاظ، في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تج: محمد باسل عيون السور، ج2،ك11447ه/1996م، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص232.

ومنها: أن القارئ إذا أتم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله...» [1] إلى غير ذلك من الفوائد

التي جال ذكرها في العديد من الكتب الإسلامية وكانت محل دراسة العديد من العلماء.

المذاهب في ترتيب السور

تعددت المذاهب والآراء في ترتيب السور فجاء الزرقاني بثلاث آراء مختلفة منها: «أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان باجتهاد من الصحابة. الثالث: أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات و أنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه...

الثالث: أن ترتيب بعضها السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وترتيب بعضها الأخذ كان باجتهاد من الصحابة...» [2] ولقد استدل في كل قول من الأقوال بمن قالوا به، وأي من كان هذا الترتيب صحيح توقيفيا أو اجتهاديا فعليه احترامه خاصة في كتابة المصاحف لكي لا يتفشى الفساد والتعريف، أما أثناء القراءة، فليس واجب التقيد بترتيب إنما هو مستحب.

وفي الأخير نستنتج أن الترتيب لآياته ليس بحسب نزولها وإنما يرجع إلى المناسبات وهي من أمثلة العلاقات خارج إطار الجملة الذي يعد من أبرز الظواهر النصية وموضوع علم المناسبات معرفة انسجام بين الآية والسورة في القرآن الكريم وترتيبها فيه، ومنه يقصد مكونات النص في ذاته.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1 ص285.286 ،

2 المرجع نفسه: ج1 ص287.288،

المطلب الثالث: في كتابة القرآن ورسمت مصاحف وما يتعلق بذلك

1- كتابة القرآن

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي، كلما نزل عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى حيث قال الزرقاني في هذا : «ومنه تعلم أن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكتابة القرآن، كانت عناية فائقة يدلك على هذه العناية أن النبي كان له كتاب يكتبون الوحي منهم الأربعة الخلفاء، ومعاوية، وأنان بن سعيد وخالد بن الوليد... وغيرهم، فكان صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه شيء يدعو أحد كتابه هؤلاء ويأمرهم بكتابة ما نزل عليه ولو كان كلمة »[1] فقيل أيضا: «وكان أب الصحابة رضي الله عنهم في حياته صلى الله عليه وسلم المبادرة إلى حفظ القرآن وتصحيحه وتتبع وجوه قراءته، ومنهم من كتب الآيات والسورة والسور ومنهم من كتب جميعها وحفظه كله..[2]» واعتبرت هذه الكتابة والتأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي وبتوقيف من جبريل عليه السلام من أمر الله سبحانه وتعالى ومادامت كتابة القرآن أمر توقيفيا فهي لم تخرج قط على نسق النص في ذاته فهو لا يقبل الرأي ولا التحريف والتبديل.

2-رسم المصحف:

هناك علم يهتم برسم المصحف، ويعرف بأنه العلم الذي يختص بمعرفته مخالفة الرسم في المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي حيث قال الزرقاني أن «رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان – رضي الله عنه- في كتابة كلمات القرآن وحروفه.

والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة المنطوق – من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق، وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر فيما بعد »[3] وقيل فيه كذلك« هو ما كتب به الصحابة المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ولذا ينسب إليه

(1) المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص298.

(2) سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي الضباع، ط1 صندوق بوستة العورية، مصر، د ت، ص8.

(3) المرجع نفسه، ص300

فيقال: الرسم العثماني، ويقال له الاصطلاحي، وأكثر رسم المصحف موافق لقواعد الرسم القياسي، ومنه ما يخالفه.» [1]

رغم اصطلاح الصحابة على استبدال الرسم العثماني بالرسم القياسي إلا أن الرسم القياسي كان أرجح لأنه أقرب إلى العربية وليس فيه تناقض ولا تنافر مع اللغة حيث وافق الرسم العثماني اللغة العربية وطابق فصاحة القرآن وبلاغته ولكن إن كان الرسم توقيفيا كان إتباعه له ألزم وإن كان اصطلاحا من الصحابة كان عملنا به حق فعلى كلا القولين يلزمنا إتباعه.

3-قواعد رسم المصحف

الأصل في الكلمة أن تكتب كما تنطق بدون زيادة أو نقص أو إبدال، وهو ما يعرف بالرسم القياسي، وهو ما عليه أكثر كلمات القرآن، إلا أن رسم بعض الكلمات القرآنية خرج عن الأصل وقد حصر العلماء هذا الاختلاف في سنة قواعده كما ذكره الزرقاني في كتابه الذي هو محل دراستنا الآن «وهي الحذف، والزيادة، والهمزة، والبدل، والفصل والوصل وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما»[2]

ففي بيان فصاحة الرسم وبلاغته في تأدية وجوه القراءات فنادوا بتغيير الرسم العثماني بالرسم القياسي، كما زعموا أن الرسم العثماني يحتوي على حروف زائدة وأخرى محذوفة، معتقدين أن الصحابة رضي الله عنهم اصطلحوا على هذا الرسم.

أولا: وقاعد الحذف: وهي ما حذف في الخط ولكنه يلفظ وينقسم إلى:

«حذف الألف أن الألف تحذف من ياء النداء نحو ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ ومنها التنبيه نحو: ﴿**هَأَنْتُم**﴾ ومن كلمة ﴿**نَا**﴾ إذا وليها ضمير نحو: ﴿ **أَنْجَيْنَاكُم**﴾ ومن لفظ الجلالة: ﴿ **الله**﴾ ومن كلمة ﴿**إله**﴾ » [3] وغيرهم من المواضع.

---

1 الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنوين، أحمد خالد شكري، (د.ط)(د.ت،) كلية الشريعة بجامعة الشريعة ص217.

2 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص300

3 المرجع نفسه، ص301

"حذف الياء؛ من كل منقوص منون رفعا وجرا، نحو:﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (البقرة: 173). ومن هذه الكلمات: (أطيعون، اتقون، خافون، فأرسلون، واعبدون) إلا من استثنى.

حذف الواو: إذا وقعت مع واو آخر في نحو: ﴿ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (التوبة:19)، ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ (الكهف: 16).حذف اللام: إذا كانت مدغمة في مثلها نحو " اليل، والذي" (إلا ما استثنى)" [1]

ثانيا: قاعدة الزيادة

وهي ما زيد في الخط ولكنه لا يلفظ علامته في المصحف صفر مستديرة وهي تدور في الألف والياء و الواو على النحو التالي " أن الألف تزداد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع، نحو "ملا قواربهم، بنو إسرائيل" وبعد الهمزة المرسومة واو نحو "تالله تفتا" فإنها ترسم هكذا: "تالله تفتوا" ... وتزداد الياء في هذه الكلمة: "نبأ، آناء، من تلقاء" بأيكم المفتون، بأيد، من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ (الذاريات:47) وتزداد الواو في نحو: " أولو، أولئك، أولاء، أولاة"[2]

ثالثا: قاعدة الهمزة

هي الهمزة الأصلية الموجودة في الأسماء والأفعال والحروف، والتي تنطق بداية الكلام ووسطه، ويعتمد رسمها على عاملين أساسيين هما الموقع والحركة.

أما الموقع: فيقصد به موقع الهمزة من الكلمة بداية الكلمة أم وسطها، أم أخرها

وأما الحركة: فالمقصود بها حركة الهمزة إن كانت في بداية الكلمة وحركتها وحركة ما قبلها وإن كانت متوسطة أو متطرفة وسيكون الكلام عند الزرقاني حيث قال أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو: "ائذن، أوتمن، البأساء" (غلا ما استثنى).

أما الهمزة المتحركة فإن كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائدة، كتبت بألف مطلقا، سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو: "أيوب_أولو_ إذا_سأصرف_سأنزل_فبأي" (إلا ماستثنى).

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 301

2 المرجع نفسه ، ص302.

وان كانت الهمزة وسطا، فإنها تكتب من جنس حركتها، نحو: «سأل، سئل، تقرؤه" (إلا ما استثنى).

وإن سكن ما قبلها حذفت نحو:" ملأ الأرض يخرج الخبء" إلا ما استثنى والمستثنيات كثيرة في الكل»[1]

ونفهم من هذا القول أن الهمزة خمس حالات تكتب في كل حالة على شكل معين كما فصلها الكاتب وإذا توفرت أسباب الداعية إلى ذلك

رابعا: قاعدة البدل:

ومن قواعد الرسم العثماني للمصحف أيضا: البدل وهو جعل حرف مكان حرف آخر وفي هذا فصل الزرقاني موضعه في الحالات التالية.

أن الألف تكتب واو للتفخيم في مثل الصلاة والزكاة والحياة (إلا ما استثنى)

وترسم ياء إذا كانت متقلبة عن ياء نحو: "يتوفاك، يا حسرتا، يا أسفا" وكذلك ما عدا ﴿ **لَدَى الْبَابِ** ﴾ في [سورة يوسف:25] فإنها ترسم ألفا، وترسم النون ألفا في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة "إذن"

وترسم هاء التأنيث تاء مفتوحة في كلمة "رحمت" بالبقرة و الأعراف وهود ومريم والزخرف والروم وفي كلمة: "لعنة الله" وفي كلمة معصية بسورة قد سمع وفي هذه الكلمة «إن شجرة الزقوم قرة عين جنة النعيم وهي كلمة امرأة أضيفت إلى زوجها نحو "امرأة عمران، امرأة نوح" وفي غير ذلك» [2]

وتبين لنا من هذا القول أن الألف حين يتم تفخيمها تكتب واو وان النون تكون ألف وهذا ما تجده في الكلمات التي تنتهي بالتنوين وكذلك الهاء التي تختصص بالأسماء المؤنثة وفي كتابتها تكون تاء مفتوحة وهذه القاعدة تكون غالبا متعلقة بالنص القرآني لما يمتاز به من إعجاز لفظي و بالتالي هذه الميزة تعد نصية لأنها لم تخرج إطار النص القرآني.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 303.

2 المرجع نفسه، ج1، ص304،

خامسا: قاعدة الوصل والفصل:

تعد هذه القاعدة من أهم فصول البلاغة على ما ذكر السكاكي في تعريفه للوصل «أنه عطف بعض الجمل على بعض لصلة بينها في الصورة والمعنى أو لدفع اللبس» [1] ومن هذا التعريف أن العناية بالموضوع اقتصر على ناحيته البلاغية، إذا أكد فيه دلالة اللفظ على معناه ويتضح أن الوصل ما هو إلا جمع وربط بين جملتين.

والفصل كذلك عرفه بأنه «هو ترك الربط بين جملتين؛ أما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدثين وأما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أوفي المعنى» [2]

وبعد أن عرضنا مفاهيم الفصل والوصل من الناحية الاصطلاحية عند البلاغي السكاكي نوجع إلى الزرقاني الذي فصل في موضعهم في القرآن الكريم في قوله "أن كلمة "أن" بفتح الهمزة توصل بكلمة "لا" إذا وقعت بعدها ويستثنى من ذلك عشرة مواضع منها: " أن لا تقولا، أن لا تعبدوا إلا الله"

وكلمة: من توصل بكلمة «ما"إذا وقعت بعدها. ويستثنى " حين ما ملكت أيمانكم" في النساء والروم "ومن ما رزقناكم" في سورة المنافقين.

وكلمة "من" توصل كلمة "من" مطلقا.

وكلمة "عن" توصل بكلمة "ما" إلا بقوله سبحانه: ﴿**وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ**﴾ (الرعد:40)

وكلمة "أن" بالفتح نوصل بكلمة "ما" مطلقا من غير استثناء.

وكلمة "كل" توصل بكلمة "ما" التي بعدها إلا بقوله "كلما ردوا إلى الفتنة ""حين كل ما سألتموه"

وتوصل كلمات " نعما، ربما، وكأنما، ويكأن" ونحوها» [3]

---

1 مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، مصر، الطبعة الأولى(1356-1937)، دار النشر البابي الحلبي وأولاده ، ص120.

2 المرجع السابق محمد بن علي السكاكي، ص120

3 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص305.

وفي هذا البيان يظهر وجه النصية في تجاوز إطار الجملة الواحدة من خلال الكلام على العلاقة بين الجمل في النص الواحد، ومثل ذلك يقع في الفصل لأن كليهما لا يكون إلا بجملتين في النص أيضا.

أما قاعدة الحذف والزيادة قد ذكرتهما تبيان لإبراز ما جاء في الرسم العثماني الذي يجب على كل من أراد كتابة المصحف أن يكتبه على مقتضى هذا الرسم ولأن كتابته على مقتضى الرسم القياسي مخالفة الأحاديث الواردة، ولكن هذه القواعد أيضا من سمات نصية فهي متعلقة بالقرآن في ذاته.

المطلب الرابع: في محكم القرآن والمتشابه

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي ختم به الكتب، وقد شاء الله سبحانه أن يتكفل هو بحفظه، و لم يكل ذلك لأحد من خلقه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(الحجر:09) والقارئ لكتاب الله يجد أن القرآن نفسه يقرر أن منه المحكم ومنه المتشابه في قوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾(آل عمران: 07) كما جاء هذا في كتاب مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية "وأما القول في المحكم و المتشابه، فإن القرآن كله محكم من جهة النظم والإعجاز كما قال تعال (س11آ1) ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** ﴾ وبعض محكم من جهة احتماله وجها واحدا لا يرتاب فيه المرتاب وبعضه متشابها هذا احتماله وجوها كثيرة لا يقطع على واحد منها قاطع[1] "

وعرفه الكافيجي أيضا بقوله "أما المحكم فهو ما أحكمت عباراته بأن حفظت عن الاحتمال والاشتباه أي هو المتضح المعنى يتناول المفرد والمركب، ويندرج فيه والمفسر المحكم على ما هو مصطلح أهل الأصول....وأما المتشابه فهو ما تكون عباراته متشابهة محتملة يندرج فيه الخفي والمشكل، والمجمل والمتشابه، على ما هو مصطلح من أهل الأصول أيضا، مثال الخفي نحو: النباش والطرار.[2]"

وجاء به كذلك الزرقاني بمعنييه اللغوي والاصطلاحي؛ المعنى اللغوي "فاللغويون يستعملون مادة إلى حكم بكسرة الهمز في معاني متعددة لكنها مع تعددها ترجع إلى شيء واحد وهو: المنع... وكذلك يستعمل اللغويون مادة التشابه فيما يدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدية على الالتباس غالبا " [3]

(1) مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية نشرها من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب برلين، ودار الكتب المصرية وقف تصحيحها وطبعها آرثر جيفري، 1954، د.ط، ص176

(2) التسيير في قواعد علم التفسير لمحي الدين محمد حسين الذهبي مكتبة القدسي، القاهرة مصر، ط1، 1419ه/1998م، ص39.

(3) المرجع السابق مناهل العرفان ج2.، ص213،

قدمنا من خلال هذا مجموعة من التعريفات اللغوية والاصطلاحية فمعنى الإحكام متفق عليه على أنه شيء منظم ومحكم ومتين هذا من الجانب اللغوي أما من الناحية الاصطلاحية فالقرآن محكم في لفظه أي معجز في نظمه لا يمكن لأي كان الإتيان بمثله.

ومعنى التشابه بتراص ألفاظه بعضها ببعض قد تكون متشابهة ولا تحمل نفس المعنى وهذا لا يخرج عن إطار نصها.

1-القرآن محكم ومتشابه

بين لنا الزرقاني أن القرآن كله محكم بأمثلة منه تدل على ذلك وكل متشابه بأمثلة منه كما جيء في كتاب مقدمتان في علوم القرآن، وقال أيضا أنه في ما يدل على أن بعض محكم وبعض متشابه فوضح هذا بقوله «ولا تعارض بين هذه أطلاقاته الثلاثة لأن معنى أحكامه كلها أنه منظم رصين متقنا متين، لا يتطرف إليه خلل لفظي أو معنوي، كأنه بناء مشيد محكم يتحدى الزمن، ولا ينتابه تصدع ولا وهن، ومعنى أنه كل متشابه أنه يشبه بعضا بعض في أحكامه وحسنه، وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه، حتى إنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته غب هذا الحسن والإحكام والإعجاز، كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين أطرافها، وأما أن بعض محكم وبعض متشابه معناه أن من القرآن من اتضح دلالته على مراد الله تعالى منه، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم» [1]

المفهوم الاصطلاحي «يطلق المحكم في لسان الشرعيين على ما يقال المنسوخ تارة وما يقابل المتشابه تارة أخرى، فيراد به على الاصطلاح الأول: الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ، ويراد به على الثاني: ما ورد من نصوص الكتاب والسنة وإلا على معناه بوضوح لإخفاء فيه، على ما سيأتي تفصيله، وموضوع بحثنا هنا هو هذا الاصطلاح الثاني» [2]

غير أن العلماء تعدد مفاهيمهم للمحكم والمتشابه كما عدها الكاتب ونذكر منها: «أن المحكم هو الواضح الدلالة الظاهرة الذي لا يحتمل النسخ، أما المتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا... وقد عزز ألوسي هذا الرأي إلى السادة الحنفية، ومنها أن المحكم ما عرف المراد منه إما

1 المرجع السابق مناهل العرفان ج2، ص:214.

2 المرجع نفسه، ص214.

بالظهور وإما بالتأويل أما المتشابه فهو ما استأثر تعالى بعلمه...وينسب هذا القول إلى أهل السنة على أنه المختار عندهم.» [1] وغيرهم من الآراء حول هذا.

تعددت الأقوال في هذه المسألة من حيث كون القرآن محكما ومتشابها أو مشتملا على المحكم والمتشابه معا، فاعتبر البعض أن المحكم لقوله تعالى: "كتاب أحكمت آياته" والبعض قال إنه متشابه والصحيح أنه منه المحكم ومنه المتشابه كما جاء في القرآن نفسه و بما أن في القرآن نفسه فهو لم يتعدى أو يخالف إطار النصية.

2-منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته:

ويذهب الزرقاني في هذا العنصر أنه أعلمنا مما سبق أن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشرع من كلامه، أما تفصيلا فنذكر أنه ما يرجع إخفاؤه إلى اللفظ، ومن ما يرجع إخفاؤه إلى المعنى من ما يرجع إخفاؤه للفظ والمعنى معا.

-«والقسم الأول: وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى إخفاء في اللفظ وحده: من مفرد ومركب، ولمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة غرابته أو من جهة اشتراكه، والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة اختصاره، أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه.

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله، لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه:﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ (عبس:31) وهو ما ترعاه البهائم، بدليل قوله بعد ذلك ﴿ **مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ (عبس 32)

ومن أمثلة التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة، لفظ اليمين في قوله سبحانه ﴿ **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾ (الصافات:93) أي: فاقبل إبراهيم على الأصنام قومه ضربا لها باليمين من يديه لا بالشمال، أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة: لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال ﴿ **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ﴾ (الأنبياء: 57) كل ذلك جائز: لفظ اليمين مشترك بينها.

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره، قوله تعالى:﴿ **إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ (النساء:3) فإن خفاء المراد فيه، جاء من ناحية إيجازه والأصل: وإن

1 المرجع السابق مناهل العرفان ج2، ص215.

خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن، فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء، ومعناه: أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن؛ فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم...

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه وإطناب فيه قوله جلت حكمته : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ (الشورى:11) فإن حرف الكاف لو حذفت وقيل (ليس كمثله شيء) كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي يمحل إلى: (ليس مثل مثله شيء) وفيه من الدقة ما يعلوا على كثير من الإفهام.

ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه، قوله جل ذكره : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ (الكهف: 1-2) فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ (قيما) وما قبله ولو قيل: أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا لكان أظهر أيضا.

فإن في مقدمة هذا القسم فواتح السور المشهورة، لأن التشابه والخفاء في المراد منها جاء من ناحية ألفاظها لا محال.

-والقسم الثاني: وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده: مثاله كل ما جاء في القرآن الكريم وصف الله تعالى، أو الأهوال القيامة أو لتعليم الجنة وعذاب النار، فإن العقل البشري لا يمكنه أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وكيف السبيل أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحس، وما لم يكن فينا مثله و لا جنسه؟

وأعلم أن في مقدمة هذا القسم مشكلات المعروفة بمتشابهات الصفات فإن التشابه والخفاء لم يجيء من ناحية غرابة في اللفظ أو اشتراك فيه بين عدة معان أو إيجاز أو إطناب مثلا فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده

-القسم الثالث: وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى اللفظ و المعنى معا: له أمثلة كثيرة منها قوله عز اسمه ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا** ﴾(البقرة:189) فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه، ورد أن أناس من الأنصار كانوا إذا حرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب، فإن كان من أهل

المدر نقب نقبا في ظهر بيته، يدخل ويخرج منه إن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فنزل قوله الله﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (البقرة189) فهذا الخفاء الذي في الآية يرجع اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهرها إذ كنتم محرمين بحج أو عمرة، ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا، لأن هذا النص على فرض بسطه كما رأيت، لابد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا تعذر فهمه» [1]

–وخلاصة القول أن المتشابه له ثلاث أقسام يختلف فيها كل واحد عن الآخر ويمكن التمييز بينها من خلال اللفظ والمعنى، فالقسم الأول يمتاز بخفاء اللفظ بمعنى أن المعنى يكون ظاهرا واللفظ يكون مخفيا، بينما في الفصل الثاني والغالب في النص القرآني يكون فيه اللفظ والمعنى ظاهرين وقد ضرب في كل قسم أمثلة لتوضيح المراد من القول.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان ج2:ص 219، 220،221 .

المطلب الخامس: في أسلوب القرآن الكريم

1-الأسلوب في اللغة:

هذه الكلمة في تاريخ اللغة العربية هي كلمة قديمة فوردت في كلام العرب وبهذا تعددت مصنفاتها اللغوية – المعجمية- ويقول صاحب لسان العرب في هذا الشأن «يقال للسيطرة من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد، أسلوب،وقال: والأسلوب، الطريق، والوجه والمذهب، ويقال أنتم في أسلوب السوء، ويجمع أساليب، و الأسلوب: الطريق تأخذ فيه، وإن أنفة في أسلوب إذا كان متكبرا...» [1] وجاء في أساس البلاغة «...سلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على الأساليب الحسنة، ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة أو يسرة...» [2] من خلال هذا نقول إن كلمة الأسلوب هي الكلمة فضفاضة وواسعة وهذا من خلال تاريخ تطوره الدلالي في كل مرحلة لينتهي إلى معرفة الطريقة «أو النمط في العيس أو في السلوك ومن طريقة العيش إلى طريقة التعبير عن الفكر لإنسان ما أو لفنان معين في عصر ما من العصور» [3] وفي هذا قال الزرقاني: « يطلق الأسلوب في لغة العرب طلاقاته مختلفة: فيقال للطريق بين الأشجار، وللفن وللوجه، وللمذهب وللشموخ بالأنف، ولعنف الأسد، ويقال لطريقة المتكلم في كلا من كلامه أيضا، وأنسب هذه المعاني بالاصطلاح الأتي هو المعنى الأخير» [4].

اتفق علماء اللغة على أن مفهوم الصحيح لكلمة أسلوب هو الطريق والمسلك فهي الكلمة شاسعة في مفهومها فلكل تعريفه لكن عند جمعنا ومعظم تعريفاتهم وجدنا أن كلمة طريق قد تكررت عندهم كاملا.

---

1 لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ، دار الصادر، بيروت، ج1،(مادة سلب)، ط1، 1414ه/1994م ص:483

2 أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة لبنان، بيروت ط1، 1996، (مادة سلب)، ص212

3 الأسلوبية ، بيير غيرو ، ترجمة: منذر العياشي، ط2، 1994، دار الحاسوب للطباعة حلب سوريا ص10.

4 المرجع السابق مناهل العرفان ج2ص239.

2-الأسلوب في الاصطلاح

ويعرف الأسلوب في الاصطلاح على أنه «طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لاسيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات، والتشابه بينه، والإيقاع» [1]

ونجد تعريفه عند منذر العياشي إذ قال « الأسلوب حدث يمكن ملاحظته: إن لساني لأن اللغة أداة بيانية، وهو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأن الأخر ضرورة وجوده» [2]

هناك تعريفات اصطلاحية أخرى للأسلوب مما أثار جدلا كبيرا عند رواد هذا العلم وذلك من أجل تحديد تعريفا دقيقا للأسلوب كمصطلح وقد نجد في كلام الزرقاني بعضا من الدقة والتفصيل «أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه» [3]

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن الأسلوب استند على الاختيار وهو أيضا طريقة يعبر بها بالتفكير أو التعبير، عن نظم الكلام أو المعاني.

3-معنى الأسلوب في القرآن

وبناءا على ما تقدم من تعاريف الأسلوب سنتطرق أيضا إلى معناه في القرآن الكريم الذي «هو طريقته التي انفرد بها في تأليفه كلامه واختيار ألفاظها ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم خاص به»[4] لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؛ذلك أنه كلام رب العالمين تبارك وتعالى وأن لكل أسلوبه الخاص به، وليس في المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام ولكن في كيفية اختياره وتركيبها له.

1 المعجم الأدبي، عبد النور جبور، بيروت دار العلم للملايين، ط1/ 1979/ ص20.

2 أسلوبية وتحليل الخطاب، منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002 ص35.

3 المرجع السابق مناهل العرفان ج2، ص239.

4 المرجع نفسه، ص240.

4-خصائص أسلوب القرآن

لقد امتاز أسلوب القرآن الكريم بخصائص ومزايا عدة التي جعلته معجزا في لغته وبلاغته، وبالرغم مما أوتي به العلماء عنه إلا أنه لا يزال بحر عميق لم يستطيعوا أن يوفوا حقه كاملا معترفين بذلك؛ إلا أنهم قربوا لنا البعيد بأمثلة منه قصد الإيضاح والتبيين.

ومن هنا نذكر شيئا من الخصائص أسلوب القرآن كما ذكرها الزرقاني في كتابه الذي بين يدينا من بينها

الخاصية الأولى:

«مسحة القرآن اللفظية: فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي

ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلاف في حركاته وسكناته ومداته وغنائه، واتصالاته وسكناته، اتساقا عجيبا، وائتلافا رائعا، يسترعي الأسماع ويستو هوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور.

وبيان ذلك أن من ألقى سمعه مجموعة القرآن الصوتية، وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجرد هيكل الحروف والكلمات كأن يكون السامع بعيدا عن القارئ المجود بحيث لا تبلغ إلى سمعه الحروف والكلمات متميزا بعضا عن بعض بل يبلغه مجرد أصوات الساذجة المؤلفة من المدات والغنات والحركات والسكنات والاتصالات والسكنات.

وتريد بجمال القرآن اللغوي: تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته، ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطنا الناس في كلامهم وبيان ذلك أنك إذا سمعت إلى حروف القرآن الخارجة من مخارجها الصحيحة، تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات و الآيات وهذا ينقر وذاك يصفر...ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذلك النظام الصوتي، أنهما كما كان دليل إعجاز من ناحية، كان سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى» [1]

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج2،ص244، 246

ففي هذه الخاصية بين لنا نظامه الصوتي الذي يسعى إلى ارتباط الجمل بعضها ببعض وبيان جمالها وحسنها فهي ليست كالموسيقى والشعر تتشابه ويمل منها غير نظام الصوت القرآن فسماعه حتى وإن طال لا يمل منه ولا يسئم، أما عن جماله اللغوي فإنه وصل إلى قمة الإعجاز وهذا في ترتيب كلماته واتساقها وبيان هذا تأثيره فين عند سماعه، فهاتين اثنتين في هذه الخاصية قد تعد نصية فهما يسعيا غلى ربط الجمل ويصبح القرآن سبيكة واحدة، وهما ما جاءا لحفظ القرآن وإبرازه عن المسامع والمكاتب الأخرى وسيبقى طول الدهر في أذانهم وألسنتهم، ولا يجرأ أ؛د على تغييره.

الخاصية الثانية:

« إرضاءه العامة والخاصة ومعنى هذا أن القرآن الكريم، إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم وهم ما يرضى عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرءوه أو قرئ عليهم؛ أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس مثله كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته» [1]

مادام القرآن العظيم مخاطبا به الناس جميعا على امتداد الحياة كلها فقد كان من حكمته أن يكون مناسب للعامة والخاصة فهو لا يعلو عن إفهام العامة ولا يقتصر عن مطالب الخاصة فهذا لحد يدركوه الفصحاء والبلغاء فليس غير القرآن فيه من الكلمات من يخاطب الناس أجمعين على مر العصور، وفيه من النصية من تلاحم الجمل وفهمها في القرآن كله.

الخاصية الثالثة:

« إرضاءه العقل والعاطفة: ومعنى هذا أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع الحق والجمال معا انظر إليه –مثلا– وهو في معمعان الاستدلال العقلي على البعث وإعادة في مواجهة منكريهما، كيف يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب، القلوب هزا، ويمتع العاطفة إمتاعا بما جاء في طي هذه الأدلة المسكنة المقنعة، إدا قال في سورة فصلت ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج2، ، ص246.

قَدِيرٌ ﴾ ﴿فصلت:39﴾ .... ثم انظر إلى القرآن وهو يسوق قصة يوسف مثلا، كيف يأتي في حالها بالعظات البالغة، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة، على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة إذ قال في فصل من الفصول تلك الرواية الرائعة وراودته التي هو بين يديها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت : هببت لك، قال معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون " فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي اللغوية الثلاثة، بدواعي العفاف الثلاثة» [1] ففي الوقت الذي تخاطب بعض الفلسفة من الإنسان عقله وأخرى تخاطب قلبه، فإن القرآن العظيم في خطابه يحقق التوازن بمخاطبة العقل والقلب معا. وبما أنها تتحدث عن القرآن فهذه الخاصية لم تخرج عن أطار النصية.

الخاصية الرابعة:

جودة سبك القرآن وإحكام سرده: ومعنى هذا أن القرآن باغ ممن الترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسره، مبلغا لا يداني فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد، وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم، وجد تتمة جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود وأغشية بين أجزائه ولحت فيه روحا عاما يبعث الحياة و الحس على تشابك وتساند بين أعضائه فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ما جعلها رائعة، والتجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متخذة أجزاء متعانقة الآيات" فالقرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق الشبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته، معجز من ألف آياته سبيكة واحدة، وفي المجمل فإن هذه الأحكام تتعلق بالنص وهي بالتالي لا تخرج عن النصية بمعنى أدق فهي تتناول نسق القرآن الكريم.

وإلى غير هذا من الخصائص كذلك في أسلوب القرآن.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص247.

المطلب السادس: في إعجاز القرآن وما يتعلق به

1- تعريف الإعجاز القرآن الكريم

شغلت قضية إعجاز في القرآن الكريم مساحة كبيرة من الفكر الإسلامي والإنساني على مر العصور ولا تزال تشغله حتى عصرنا الحاضر، فالقرآن الكريم نزل للعالمين بكونه معجزة من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحدى به الإنس والجن على أن يأتوا ولو سورة واحدة مثله، فقد درسها العديد من العلماء المسلحين على اختلاف مذاهبهم وافرحوا بها عشرات البحوث والكتب وهذا لتحديد معنى الإعجاز ووجوهه

1-1- الإعجاز في اللغة

الإعجاز هي الفعل الرباعي أعجز: بمعنى ضعف الفعل الشيء وعدم مقدراته عليه وتأخره عنه، جاء في (المفردات): «العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي ؛ مؤخره...وصار في التعاريف اسما للقصور عن الفعل الشيء وهو ضد القدرة »[1] وجاء في (معجم مقاييس اللغة): «عجز عن الشيء، يعجز، عجزا، فهو عاجز، أي: ضعيف»[2]

ذكر الرازي في مختار الصحاح في مادة (ع.ج.ز) أن: « العجز، بضم الجيم: مؤخر الشيء، يذكر و يؤنث...والعجز الضعف وبابه ضرب و(معجزا) بفتح الجيم وكسرها...وفي الحديث "لا تلثوا بدار معجزة"أي: لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن اكتساب والتعيش...و(أعجزه) الشيء فاته...و(المعجزة)واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام »[3] كما ورد في (أساس البلاغة) للزمخشري في المادة ذاتها: «وطلبته فأعجز وعاجز، لاذا سبق قلم يدرك»[4] حيث اتفق العلماء على أن المعنى اللغوي لكلمة إعجاز هو الضعف وعدم القدرة على الشيء.

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد، تج: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) ص322.

(2) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء، تج: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ط)،1979، ج4(مادة عجز)، ص332.

(3) مختار الصحاح، محمد أبو بكر الرازي، ط1، دار الفكر، لبنان،2001، ص176.

(4) أساس البلاغة، محمد بن عمرو الزمخشري، تج محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1998، ج1ص65

1-2-الإعجاز في الاصطلاح:

اختلفت عبارات أهل العلم في ضبط مصطلح الإعجاز من حيث الدقة في التحديد، والإلمام بجوانبه المتعددة.

والمراد به من إعجاز القرآن كونه « أمرا خارقا للعادة و لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس له » [1] والقول بأن إعجاز القرآن هو «ارتقاءه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته» [2] فهذا التعريف جعل الإعجاز في البلاغة فقط دون أوجه أخرى.

ويمكن تعريف إعجاز القرآن بأنه إثبات القرآن « عجز الخلق على إتيان بما تحداهم به» فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول، وما تعلق بالفعل المحذوف للعلم به والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به» [3]

وهناك من أثبت إعجاز بشيئين حيث يقول «وإنما بإعجاز شيئان: وهو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصل غايته، ثم استمرار هذا الضعف على التراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير هدته المحدودة بالغة ما بلغت.» [4]

قال الجرجاني في التعريفات: « الإعجاز في الكلام هو أ، يؤدي المعنى بطريق هو أبلغت جميع ما عداه من الطرق» [5]

وفي الأخير نستنتج أن الإعجاز في الاصطلاح من خلال التعاريف السابقة هو شيء خارق خارج عن طاقة الإنسان، وهو أداة الكلام بطريقة وأسلوب يصل إلى حد يفوق فيه كل الطرق وأساليب البلاغة.

---

(1) التوقيف في مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، 1990، ص75.

(2) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تج: عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة، لبنان، (د.ط)1998، ص215.

(3) المرجع السابق، مناهل العرفان ج2 ص259.

(4) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1973م، ص139.

(5) المرجع السابق، معجم التعريفات (باب العين والجيم)، ص.52.

2- وجوه إعجاز القرآن

لا يستطيع أي باحث مهما أوتي من العلم أن يحصي الوجوه والنواحي التي من أجلها عجز الناس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لأن وجوه إعجاز القرآن إنما أحاط علما بها من أنزله، وليس في استطاعة إنسان أن يحيط علما بما أحاط الله علما به.

ففي كتاب مناهل العرفان يذكر لنا بعض من وجوه هذا الإعجاز ومن بينها:

2-1-الوجه الأول: لغته وأسلوبه

«وبيان ذلك أن الأسلوب الرائع الخلاب، الذي اشتمل على الخصائص العليا التي تحدثنا عنها والتي لم تجتمع بل لم توجد خاصة واحدة منها في كلام على نحو ما وجدت به في القرآن وكلما كان من هذا القبيل فهو لا شك معجز، خصوصا أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به فأعجز أساطير الفصحاء، وأعيى مقاولي البلغاء وأخرص ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان» [1] ففي المبحث السابق في أسلوب القرآن بينا فيه هذا الوجه بالتفصيل فمنهج القرآن إعجاز في روعته لا يستطيع أي أحد الإتيان به أو مثله «وها قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا، أدوار مختلفة بين علو ونزول، واتساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من سمائه..» [2] فالقرآن جاء باللغة العربية رغما ما مرت عليه وفي كل هذه العصور إلا أن القرآن بقي شامخا صامدا لم يتغير منه شيء

2-2-الوجه الثاني: طريقة تأليفه

«وبيان ذلك أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل مفرقا منجما على أكثر من عشرين عاما، على حسب الوقائع والدواعي المتجددة كما تقدم بيان ذلك في المبحث الثالث من هذا الكتاب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كما نزل عليه نجم من تلك النجوم قال: ضعوه في مكان كذا من سورة كذا، وهو بشر لا يدري (طبعا ما ستجيء به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في المستقبل

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص260.

2 المرجع نفسه ص260

الزمان، ولا يدرك ما سيحدث ممن الدواعي والأحداث، فضلا كما سيترل فيها »[1] فالقرآن نزل مفرق ومع ذلك إلا أن كلماته وآياته وسورة متناسقة منسجمة معجزا في ذلك.

2-3-الوجه الثالث: علومه وعارفه

«وبيان ذلك أن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق، بلغت منا نباله القصد، ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع، مبلغا يستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل أمي نشأ بين أميين أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض وجميع من العلماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها... »[2]، جاء القرآن للهداية وتوضيح الغموض بأنبل المناهج للسير في الطريق الصحيح شمل جميع العلوم التي هي محل دراسة العلماء الآن.

2-4-الوجه الرابع: وفاؤه بحاجيات البشر

«ومعنى هذا أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة، تفي بحاجيات البشر في كل عصر ومصر، وفاء لا تظفر به أي تشريع و لا في أي دين آخر ويتجلى لك هذا، إذا استعرضت مقاصد النبيلة التي رمي إليها القرآن في هدايته... »[3] شمل القرآن على جميع الجوانب المتعلقة بالإنسان سواء في حياته الخاصة مع الناس، في عمله في دولته فكل ما يشغل بال الإنسان يجد له في القرآن مسلكا، فالدليل على ذلك الإعجاز في هذا الوجه أن غير المسلمين لا يزالون يبحثون عن جل حاجياتهم و لم يصل إليها بعد.

وغيره ذلك من الوجوه التي ذكرها الإمام الزرقاني منها: وجه موقف القرآن من العلوم الكونية، ووجه سياسته في الإصلاح ووجه أنباء الغيب فيه ووجه آيات العتاب...إلخ . فلكل وجه وأدلة كافية ترد على كل شبهة فيهم.

فالإعجاز في القرآن أمر إلهاي لا يستطيع أي كان الإتيان ولو بمثله، فهو يدرس القرآن من جانب نسقي الذي تعلق به في حد ذاته فالإعجاز يكمن في أسلوبين وحكمته ومغزاه ومعناه ومدى تأثيره.

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج2، ص 265.

2 المرجع نفسه، ص267

3 المرجع نفسه، ص273.

الفصل الثاني:

المعالم السياقية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن

تمهيد:

1- **المعالم السياقية :** فمن أجل تحديد المعالم السياقية في الكتاب الذي بين يدينا، نحتاج إلى تحديد المقصود بالسياق، فهو يؤدي دورا مهما في قراءاتنا التي تتأثر به إلى درجة كبيرة، فلا يمكن لنا تصور قراءة دون سياق يحدد المعنى منها وكذلك موقفها خارج إطار النص الذي يدل على مكانها وزمانها، وكل ما يحيط بظاهرة الكلام من ملابساته كالسمع والمقام وظروف المقال، ومنه نتطرق إلى مفهوم السياق لغة واصطلاحا :

1-1-السياق لغة :

يعود السياق في أصله اللغوي إلى مادة "سوق" يقول ابن فارس (ت392 ه) : « السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدوا الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وسقته والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليه كل شيء، والجمع أسواق » [1]

يقول أيضا الأستاذ الطيب العزالي قواوه « أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظ الحال والمقام وهذا الجانب النصي وارتباطه مع موقفه الخارجي . » [2]

وجاء في المعجم الوسيط «سياق الحديث ك سرده وسلسله وساوقه : تابعه وسايره وجاراه ، وتساوقت الماشية ونحوها : تتابعت وتراحمت في السير، وتساوق الشيئان : تسايرا أو تقارنا وسياق الكلام : تتابعه وتراحمه وأسلوبه الذي يجري عليه »[3]

و نستنتج أن معاني " السياق" تقوم على التتابع والاستقامة والانقياد والاتفاق وهي كلها مفاهيم تحضر بقوة في الإنتاج اللغوي باعتباره تتابعا وانقياد الأصوات والكلمات والعبارات، وفق ضوابط الاستقامة اللغوية.

ومن هنا «فاستخدامنا لكلمة "سياق" في التعبير، سياق التعبير، أو "سياق الموضوع" ، "سياق الجملة" استخدام مجازي يعود إلى المعنى أصلي من التتابع والسير والنظم، فكم تساق النوق والغنم في قطيع واحد كذا تساق الكلمات في جمل أو عبارات، وهذا هو وجه الشبه بين السياق بمعناه

1 المرجع السابق، معجم مقاييس اللغة، مادة (سوق) ج3 / ص 117.

2 المرجع السابق، مقال في الانسجام النصي وأدواته، ص 64

3 معجم الوسيط، ط4، 1429 هـ /2008 م، مكتبة الشروق الدولية، (ساق)، ص 464

الحسي والسياق اللغوي »[1] . ومع جاءت استعمالات من نوع: "سياق العبارة " و "سياق الكلام " و "سياق الموضوع "، و" سياق الحال"، وهي كلها استعمالات مؤسسة على ما تمليه المفاهيم المذكورة.

2-1-مفهوم السياق اصطلاحا:

يذكر كثير من الباحثين أنه ليس من البسيط تقديم تعريف دقيق للسياق وهذه الصعوبة أدت غلى تعدد البحوث فيه ولكن قبل الكشف عن مفهومه يجب أن تشير أولا إلى أنه عادة ما يستعمل لدى دارسينا مقابلا للمصطلح أجنبي " context" الذي ينحدر من السابق اللاتينية"con" بمعنى "مع" و " Text" اللاتينية أيضا، والتي كانت تعني في الأصل "النسيج" ثم استعملت أيضا في معنى النص، ويقوم السياق على المفهومين أساسيين التاليين :

- **الاستعمال الأول:** ويتعلق بالمحيط اللغوي الذي تنتظم من خلاله الكلمات ومجموع الألفاظ التي تسبق أو تلي كلمة أو عبارة أو جملة.

يقول ستيف اولمان : «كلمة السياق (context) قد استعملت حديثا في عدة معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة وموضعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله ». [2]

- **الاستعمال الثاني:** والذي تحقق ضمن الطرح التداولي ويضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بإنتاج الكلامي، يقول جون ديبوا: « السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما . » [3]

نلاحظ من خلال التعريفين (اللغوي والاصطلاحي) للسياق أن هناك علاقة متشابهة بينهما، حيث أن في اللغة تتابعا للجمل الواحدة منها وراء السابقة وقبل اللاحقة وفق تنظيم نحوي محكم ونحيط بها ملابسات خارجية تحدد ملامحها الدقيقة وطرقها في توصيل الرسالة.

---

1 عبد المنعم خليل ن نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء الدين، الطباعة والنشر، ط1 2007، الإسكندرية.ص 27 .

2 دور الكلمة في اللغة، ستيف اولمان، تر: كمال بشر ، دار غريب للنشر، ط12 ، 1997 ، ص 6

3 المرجع السابق jean Dubois، ص: 116.

زمن هنا فمن معايير النصية الموقفية فهي تندرج ضمن أنواع السياق الأربعة وهو السياق الموقفي ويعني هذا السياق « الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة » [1]

أو الجملة، أو النص عموما، فهو يدل على العلاقة الزمنية والمكانية التي يجري فيها الكلام.

فإن السياقية والمقامية تتضمن كما يقول بوجراند « العوامل التي تجعل النص مرتبط بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف، وأن يغيره »[2] وقد جاء الاهتمام بالموقفية والسياق عامة بعد التأكد من أن أي مقاربة لغوية تهمل السياق تبقى ناقصة.

وقد اهتم العلماء العرب قديما بالسياق عموما وبالموقف على وجه الخصوص، وتعتبر دراستهم للقرآن الكريم من ناحية أسباب نزوله ومعرفة ما هو مكي دليلا كافيا على أنهم فطنوا إلى ظاهرة السياق ومن هنا نتطرق إلى:

1 المرجع السابق: علم الدلالة، ص: 71.

2 المرجع السابق: دي بوجراند، ص : 104

المطلب الأول: في نزول القرآن:

لقد رجع الزرقاني أن المبحث من كتابه هو أهم المباحث لأن العلم بنزول القرآن هو السبب للإيمان بالقرآن والتصديق بأنه كلام الله، وأساس نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء به في مقدمة الكتاب بعد التعريف بعلوم القرآن مباشرة، فمن خلاله تطرق إلى معنى نزول القرآن ، ثم على مرات هذا النزول، ودليل كل نزول، وكيفية وحكمته، ثم على الوحي وأدلة العقلية والعلمية، مع دفع الشبهات الواردة فيه ذلك المقام، وسنتذكر من بينها .

1-مفهوم نزول القرآن:

القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه كما قال الزرقاني « جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرف منها في الكتاب والسنة، ومن أمثلته قوله سبحانه في سورة الإسراء « وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ (الإسراء: 105) وقوله صلى الله عليه وسلم " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف " . وهو حديث مشهور بل قيل فيه بالتواتر كما سيأتي » [1] فقد ورد النزول في مواضع عدة في القرآن منها قال تعالى : ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ.وفَرَّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النَّاسِ على مُكْثٍ وَنــزلْناهُ تَنــزيلا** ﴾ (الإسراء: 106).

قال علماء اللغة على النزول لغة ويطلق ويراد به، الحلول يقال نزل فلان بالمدينة: حل بها، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ (المؤمنون: 29).

ويطلق أيضا: على تحرك الشيء من الأعلى إلى الأسفل يقال « أنزل فلان من الجبل والمتعدي منه معناه:التحريك من علو إلى سفل ومنه قوله: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ (سورة الرعد: 17)» [2]

ويذهب الزرقاني في هذا البحث بعد تعريف النزول لغة الاعتراض عن المفهوم اللغوي إذا يرى بأن التحريك والحلول يتعلقان بالأجسام المادية والقرآن ليس ماديا، في قوله « ولا ريب أن كلا المعنيين لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن، ولا في نزول القرآن من الله، بما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية، والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو إلى سفل » [3]

ونفهم من هذا القول بأن أي صفة متعلقة بالماديات لا تتماشى والصفة التي يمتاز بها القرآن.

---

1 المرجع السابق: مناهل العرفان: ج1، ص: 37

2 المرجع نفسه ، ص 37.

3 المرجع نفسه، ص: 37 .38 .

2- تنزلات القرآن :

وقد عرف نزول القرآن ثلاثة مراحل وهي كالأتي:

« التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ : ودليله قوله الله سبحانه : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: 21.22) وكأن هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى، ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرق، لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق و الإطراف عنه، ولأن أسرار تنجيم القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم لا يعقل تحققها في هذا التنزل وحكمة هذا التزول، ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه، وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله وقدر، وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين »[1] فإن هذه المرحلة الأولى جاءت في النصوص الشرعية في القرآن الكريم وقد دلت الآية التي ذكرها الكاتب في قوله علىانا لقرأن كان قبل نزوله ثابتا موجودا في اللوح المحفوظ ومعنى كلمة محفوظ : أي عن استراق الشياطين، ومحفوظ عن التعبير والتبديل ، فالحكمة من هذا التنزيل هو تجلي عظمة الله وعلمه وإرادته، والإيمان بها يقوي إيمان المسلم بربه ويقوي ثقته به.

« التنزل الثاني للقرآن: كان هذا التنزل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ (الدخان:3) وفي سورة القدر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر:1) وفي سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآن﴾ (سورة البقرة:185). دلت هذه الآيات الثلاثة على أن القرآن أنزل في ليلة القدر، توصف بأنها أخذا من أية الدخان، وتسمى ليلة القدر أخذا من سورة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذا من أية البقرة. »[2]

فقد أقتضى ظاهر هذه الآيات الثلاثة أن القرآن أنزل كله في ليلة واحدة، أي نزل جملة، وذلك في ليلة القدر، فيكون التزول على النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان مفرقا في مدة النبوة كلها، و لم يكن في ليلة واحدة، هذا من ناحية،وقد وردت (أحاديث الصحيحة)، تبين مكان التزول، وحدته بأنه بيت العزة من السماء الدنيا نهت على ذلك عدد من الأحاديث منها، « أخرج الحاكم- يسنده —عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قال: (فضل القرآن من الذكر فوضع في

1المرجع السابق مناهل العرفان ج1، ص: 39 .

2 المرجع نفسه، ص: 40 .

بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل يتزل به على النبي صلى الله عليه وسلم » [1] وبهذا يترجح لنا : أن القرآن الكريم قد أنزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

« التنزلة الثالثة للقرآن هذا هو واسطة عقد التنزلات، لأنه المرحلة الأخيرة التي منها منها شع النور على العالم : ووصلت هداية الله إلى الخلق، وكان هذا التزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ودليله قول الله تعالى في سورة الشعراء مخاطبا لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)** ﴾ (الشعراء: 193.195) » [2]. وقد ثبت بالتواتر أن النبي (ص) قد أنزل عليه القرآن الكريم: فهذا التنزيل هو المرحلة الأخيرة لتزول القرآن الكريم، حيث سطع نوره المبين وكان هذا التزول بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ونستخلص مما سبق أن التنزيل ضمن الإطار السياقي للنص بما أنه يعتمد على أدلة خارجية ثبت نزوله والكيفية التي نزل بها بالإضافة إلى انه نزل على النبي الكريم في أمكنة معينة وأزمنة مختلفة.

3- مدة هذا التزول:

إن القرآن الكريم يتزل على النبي صلى الله عليه وسلم هداية للناس وبينة وقد بين لنا الكتاب متى وكم استغرقت مدة نزوله في قوله، « وابتدأ هذا الإنزال من مبعثه عليه الصلاة والسلام، وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة، ونقدر هذه المدة بعشرين أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين عاما، تبعا للخالق في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة، أكانت عشرين أو ثلاث عشر أو خمس عشر سنة، أما مدة إقامته بالمدينة فعشر سنين اتفاقا، كذلك قال السيوطي » [3] .فقد المتصل نزول القرآن بكل آياته وسوره ومعانيه قبل وفاة الرسول "ص" وتحديد فترة نزوله قد اختلفت بين العلماء فير غنهم اتفقوا على أنه لم يتزل دفعة واحدة .

وبما أن نزول القرآن يحتاج إلى أدلة خارجية لدراسته والتثبت من مراحل نزوله وعليه فإن تنزلات القرآن ومدة هذا التزول وعناصر أخرى تندرج ضمن هذا المبحث الوارد في الكتاب الذي بين يدينا منها : كيف أخذ جبريل القرآن، وعمن أخذ فقد تناول فيه بعض من أقوال العلماء حول هذا المبحث من بينهم الطبيبي في قوله « لعل نزول القرآن على الملك أن يتلقفه تلقفا روحانيا أو

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1 ، ص : 40

2 المرجع نفسه ، ص : 42 .

3 المرجع نفسه ، ص : 46 .

يحفظه من اللوح المحفوظ، فيتزل به على النبي فيلقيه إليه »[1] والماوردي « أن الحفظة نجمت القرآن على جبريل في عشرين ليلة، وان جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة »[2] . فكل هذه الأدلة من أنباء الغيب و لم يرد أي العلماء برأي فيه دليل صحيح، ومهما كانت صحيحة فنحن مرجعنا الوحيد أن القرآن هو كلام الله ومتزل من عنده.

وكذلك الحكم والأسرار في تنجيم القرآن فقد حصرها الزرقاني في أربعة حكم:

أولا: « تثبيت فؤاد النبي (ص) وتقوية قلبه» [3].

ثانيا: « التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا » [4]

ثالثا: «مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسب وفضل الله لهم من أحكامه ما يوافقه » [5]

رابعا: « الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده، وانه لا يمكن أن يكون كلام محمد (ص) ولا كلام مخلوق سواه »[6]

وفي هذا المقام أثبت لنا أن القرآن أنزل منجما بغية بيان حكمه وأثره على الرسول، وللناس كافة بالعمل به والسير على منهجه. وهذه العناصر تعد في إطار السياق السيي.

1 مرجع السابق مناهل العرفان ج1،ص : 42.43

2 مرجع السابق مناهل العرفان ج1، ص : 43

3 المرجع نفسه ، ص : 43

4 المرجع نفسه ، ص : 48

5 المرجع نفسه، ص : 49

6 المرجع نفسه، ص : 51

المطلب الثاني: في أول ما نزل وأخر ما نزل من القرآن الكريم.

إن المقرر لدى العلماء نزول القرآن الكريم منجما، -أي على دفعات- خلال مدة قوامه ثلاثة وعشرون سنة وذلك لحكم عديدة كما سبق وذكرناه ا في المطلب السابق وبناءا عليه فلا بد أن يكون بعض القرآن قد سبق بعضا في النزول، ولذا حصل اختلاف كبير بين العلماء في ترتيب نزول الآيات والسور، فاختلفوا في أول القرآن نزولا واختلفوا في آخره فضلا عن أواسط النازل، ولا سيما مع طول فترة النزول القرآني وطريقة معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل مداره على النقل الصحيح عن الصحابة رضوان الله عليهم الذين عايشوا الوحي، وشاهدوا التنزيل وسمعوا و صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك من تبعهم ونقل عنهم وليس للعقل مجال فيه إلا بالجمع بين تلك الروايات الواردة التي ظهرها التعارض أو الترجيح بين الأدلة حيث لا يمكن الجمع،وذلك حسب قوة الدليل وصحته، ويقول الزرقاني في هذا الشأن: « مدار هذا المبحث على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهرة التعارض منها » [1]

وهنالك أيضا فوائد لمعرفة أول ما نزل وآخره حيث ذكرها الزرقاني بعضها:

« تمييز الناسخ والمنسوخ فيها إذا وردت آيتان أو آيات على موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات يغاير الحكم الأخرى.

ومن فوائده أيضا معرفة تاريخ التشريع الإسلامي ومراقبة سيره التدريجي والوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناسب بالمودة والرفق، والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف سواء في ذلك هدم ما مردوا عليه من باطل وبناء ما لم يحيطوا بعلمه متن حق.

ويضاف إلى هاتين الفائدتين الفائدة الثالثة: هي إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عرف فيه أول ما نزل وآخر ما نزل كما عرف مكية ومدنية، وسفريه وحضريه إلى غير ذلك ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به ودليل على سلامته من التغيير والتبديل قوله تعالى: ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس:64] » [2]

فهنا عند الزرقاني بعض من فوائدها العديدة منها ليس التفريق بين الآيات المتشابهة بالإضافة إلى العادة القائمة المحيطة بالقرآن وتمجيده، ولكن هذا أساس دراسة الإمام لهذا العنصر فهو حاول الإلمام بكل دراساته حول أقل مانزل بالرغم من انه علم واسع الوفاق.

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان،ج1، ص 76.

2 المرجع نفسه. ص 76.

1 -أول ما نزل على الإطلاق.

تتعدد الأقوال في هذا بين العلماء في مختلف الكتب الإسلامية من بينهم الإتقان [1] والبرهان في علوم القرآن [2] دراسات في علوم القرآن [3] علوم القرآن الكريم [4] علوم القرآن [5] وغيرهم إلا أنهم اتفقوا على قول واحد ومن هنا سنطلع على قول الزرقاني في هذا: «ورد في ذلك أقوال أربعة: **القول الأول:** وهو أصحها : أنه صدر سورة ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ الّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق:1) قوله سبحانه: ﴿**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم**﴾ (العلق: 5) ودليل ذلك.

رواه البخاري مسلم- عن عائشة آم المؤمنين- رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدأ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو وكان يخلو بغار حراء فيتحدث فيه –وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن يتفرغ إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حق جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال :اقرأ قلت ما أنا بقارئ ، فأخذني الثانية حتى بلغ منه الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ قلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)**﴾ (العلق .1 .2. 3) وفي بعض الروايات : حتى بلغ ﴿**مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (العلق :5) فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده، إلى أخر الحديث وهو طويل. » [6] وكذلك استند الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلالته وصحح الطبراني في الكبير يسنده عن أبي رجاء العطارديّ وغيرهم حيث اتفقوا على نفس قول البخاري مسلم في حديث عائشة أم المؤمنين على أن سورة العلق هي أول سورة أنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالقول الأول بأن أول ما نزل على الإطلاق (اقرأ) هو الراجح في قول أكثر المفسرين والعلماء. فهذا المبحث الذي درسه الزرقاني. يندرج ضمن السياق الذي نزلت فيه أول أية حسب ما اتفق عليه الصحابة .

---

1 ينظر، الإتقان ج2. ص 76 .

2 ينظر، البرهان في علوم القران، الزركشي، ص : 144 ، 147

3 ينظر، دراسات في علوم القرآن الكريم د فهد الرومي. ط14 ،1426ه /2005 م مكتبة الملك فهد الوطنية، ص : 248 -266.

4ينظر، علوم القرآن الكريم، د: نورا لدين عنتر ، ط1 ، مطبعة دمشق 1414 هـ/1993 م . ص 35 .

5 ينظر، علوم القران، د: عبد الله محمود شحاتة، دار غريب القاهرة، دط ، د ت، ص 36 .

6 المرجع السابق، مناهل العرفان ج 1، ص 77.

« **القول الثاني:** أن أول ما نزل إطلاقا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ (المدثر:1) واستدل أصحاب هذا الرأي بما رواه الشيخان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن قبل؟

فقال ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ فقلت: أو ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ **(العلق: 1)**، وفي رواية نبئت أنه: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ **(العلق: 1)** فقال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت، فاستبطت الوادي، زاد في رواية، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو –جبريل– زاد في رواية جلس على عرشه بين السماء والأرض، فأخذتني رجفة فأتيت خديجة، فأمرتهم قد تروني، فأنزل الله : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ »**(المدثر1_2)** [1]

وفي هذا جاء رأي الزرقاني قال « لكن هذه الرواية ليست نصا نحن بسبيله من إثبات أول ما نزل من القرآن، طلاق، بل تحتمل أن تكون حديث عما نزل بعد فترة الوحي، وذلك هو الظاهر من رواية أخرى رواها الشيخان أيضا، عن أبي سلمة، عن جابر – أيضا – ((فبينما أن أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قيل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجيثت حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت : زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)**﴾ **(المدثر:1_5)**.....فظاهر هذه الرواية يدل على إن جابر استند في كلامه على أن أول ما نزل من القرآن هو المدثر، إلى ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدق عن فترة الوحي، وكأنه لم يسمع بما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوحي قبل فترته، من نزول الملك على الرسول في حراء بصدر سورة اقرأ (كما روت عائشة) فاقتصر في إخباره على ما سمع ضانا أنه ليس هناك غيره، اجتهدا منه، غير انه أخطأ في اجتهاده بشهادة الأدلة السابقة في القول الأول ومعلوم أن النص يقدم على الاجتهاد وأن الدليل إذ تطرق إليه الاحتمال، سقط به الاستدلال فبطل إذا القول الثاني وثبت الأول » [2] . فهذا القول رغم أدلته إلا أنهم رجحوا القول الأول لصحة قولهم ومع اختلاف المواقف كذلك اختلفت الأقوال فهناك

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص: 78.

2 المرجع نفسه، ص: 78-79.

أيضا كما ورد مع الزرقاني كمن قال أناول ما نزل هو سورة الفاتحة وأيضا منهم من قال أن البسملة (باسم الله الرحمن الرحيم) هي أول من نزل .

2-آخر ما نزل على الإطلاق

اختلفت الآراء العلماء في معرفته وتحديد آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق حيث قال الإمام في هذا أنه « استند كل منه إلى أثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا من دواعي الاشتباه، وكثرة الخلاف على أقوال شتى .

الأول: أن آخر ما نزل، قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ **(البقرة:** 281) أخرجه النسائي من طريق عكرمة،وكذلك أخرج ابن حاتم عنه قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ (البقرة:281) ، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين قلنا من ربيع الأول.

الثاني: أن أخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ **(البقرة: 278)**، أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي ابن عمر .

الثالث: أن أخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة – وهي قوله سبحانه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ إلى قوله ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾ (البقرة 282.) وهي أطول أية في القرآن، أخرج ابن حرير عن سعيد بن المسيب: " آخر القرآن عهدا بالعرش أية الدين » [1] .

وفي القول عن الأقوال الثلاثة جاء السيوطي فجمع بينهم والإمام كذلك وافقه الرأي فيه فقال : « ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي –رضي الله عنه– من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه أخر، وذلك صحيح »[2] ، وغيرهم من الأقوال المستندة على الصحابة التي تحمل منها من يقول بأن أية سورة أل عمران (الآية: 195) وآخرون يقولون بالآية (93) من سورة النساء هي أخر ما أنزل وتضاربت الآراء حوله غير أن ما ترتاح إليه النفس ما قيلوا أن أخر ما نزل على الإطلاق هي الآية (281) من سورة البقرة حيث أكدها الإمام في قوله: « ورأيت أن الذي تستريح إليه النفس منها

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج 1 : ص 81.80

2 المرجع نفسه، ص : 81.

هو أن أخر القرآن نزولا على الإطلاق قول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (البقرة 281) »[1] . وغير الأقوال بخلاف هذا التضارب على تحديد أواخر ما نزل باختلاف السور عندهم.

ونجد أن الزرقاني قد استدل بأدلة دامغة ومختلفة من أقوال العلماء في أول ما نزل وآخر ما نزل، إلا أنه لم يكتفي بعرض هذه الآراء وإنما اجتهد ورجع كفة على أخرى. وفي المجمل فغن التزول يعتمد على أدلة سياقية لأنه خارج إطار النص ونقصد بذلك إنها الخارجية هي المعتمدة حسب قوة الحجة والدليل القاطع. وقد عرض الإمام مثلين غي أوائل التزول وأواخره لتدليل على كيفية سير التشريع الإلهي ومن بين الموضوعات التي ساق فيها أمثلة موضوع الخمر والجهاد وما يشتمله من دفاع عن النفس

ونظرا لما في ذلك أثر كبير في معرفة الحكم الشرعي الذي وقع بجهله العلماء فأفتوا في ذلك من غير دراية وأضلوا، وأصبح كل منهم حجة عند البعض.

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج 1 : ص : 84 .

المطلب الثالث: في أسباب النزول.

علم أسباب النزول أو تفسيرها أو شأن النزول هو أحد العلوم الإسلامية المهتمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن الكريم والقضايا والحوادث المتعلقة بها وكذلك وقته ومكان نزول الآية وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها صحيحا.

1 مفهوم سبب النزول:

جاء تعريفه في كتب شتى من بينها علوم القرآن حيث قال الكاتب في صدده حين قسم آيات القرآن إلى قسمين « أحدهما: الآيات التي نزلت لأجل الهداية والتربية والتنوير دون وقوع سبب معين في عصر الوحي أثار نزولها، كآيات التي تصور قيام الساعة ومشاهد القيامة وأحوال النعيم والعذاب وغيرها، فإن الله تعالى أنزل هذه الآيات لهداية الناس من غير أن تكون إجابة عن سؤال أو حلا لمشكلة طارئة أو تعليقا على حادثة معاصرة.

والآخر الآيات التي نزلت بسبب مثير وقع في عصر الوحي واقتضى نزول القرآن فيه كمشكلة تعرض لها النبي والدعوة وتطلبت حلا أو سؤالا استعدى الجواب عنه أو واقعة كان لا بد من التعليق عليه وتسمى هذه الأسباب التي استدعت نزول القرآن الكريم بأسباب النزول، فأسباب النزول هي: أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها »[1]. وفي تعريف آخر يقال: « تطلق أسباب النزول ويراد منها تلك الوقائع والظروف والمناسبات التي لابست نزول شيء من القرآن الكريم... »[2]. تعريف الأستاذ مناع القطان إذ يقول: « ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادث أو سؤال »[3] وقال في هذا أيضا الإمام الزرقاني : « هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه »[4]. وعقب على قوله هذا عبد الفتاح في قوله: « كما أنها تساعد على حفظ القرآن وتيسير فهمه وتثبيت الوحي في ذهن السامعين، إذ في ذلك ربط الأسباب بالمسببات و الأحكام بالمناسبات، والحوادث بالأشخاص والزمان والمكان، فيسهل على المؤمنين تذكرها وروايتها، ولذلك فإن الطريق الأمثل لمعرفة أسباب النزول هو النقل عن الصحابة رضوان

---

1 علوم القرآن، السيد محمد باقر حكيم، ط3، مجمع الفكر الإسلامي، د ت، ص:37-83.

2 إجمال البيان في علوم القرآن الكريم، د: عبد الله أحمد حميدي، ط2، 1374ه/2006م. دار الكتب الوطنية،بنغازي ليبيا، ص:83.

3 مباحث في علوم القرآن. لمناع القطان، دار السعودية للنشر (د.ط).(د.ت).ص78

4 المرجع السابق: مناهل العرفان، ج1، ص89.

الله عليهم الذين عاصروا الوحي والنزول...»[1] وأمثلة ذلك فذكر بعضها « كالخلاف الذي شجر بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج، بدسيسة من أعداء الله اليهود حتى تنادوا: السلاح السلاح، ونزل بسببه تلك الآيات الحكيمة في سورة آل عمران من أول قوله سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران:100] إلى آيات أخرى بعدها هي من أروع ما ينفر من الانقسام والشقاق ويرغب في الصحبة والوحدة والاتفاق ».[2] إلى غيرها من الآيات الواقعة على سبب معين. فهنا تعددت التعريفات حول سبب النزول لكن المغزى منهم واحد فالحوادث والظروف والوقائع التي تنزل في أثرهم الآيات فالسبب هنا متعلق بعلاقة النص بالمقام فهو يضم مكان وزمان وقوع الحادثة.

2-فوائد معرفة سبب النزول:

إن معرفة سبب النزول فوائد عديدة في فهم الآية والتعرف على أسرار التعبير فيها لأن بعضها سببه عام وهو: الهداية وبعض مرتبط بحادثة معينة وفي ما يأتي ذكر أهمها:

- « ومن فوائده "تحديد" المدلول الحقيقي أو الساحة التي يشملها النص القرآني، فمرة يدفع من النص "توهم الحصر" وأخرى يبين أن المراد باللفظ العام حالة من الحالات الخاصة..

- معرفة حكمة الله تعالى على تعيين فيما شرعه بالتنزيل، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نبطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل ».[3]

- تساعد كذلك على معرفة الآية كما قال الواحدي: « وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير آية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ».[4] لأن العلم بالسبب يقتضي العلم المسبب.

-« تخصيص الحكم بالسبب، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.فآيات الظهار في مفتح سورة المجادلة سببه أن أوس بن الصامت طاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة، والحكم الذي تضمنته هذه الآيات خصا بهما وحدهما (على هذا الرأي) أما غيرهما فيعلم

---

1 علوم القرآن د.عبد الفتاح أبو سنة، دار الشروق، القاهرة، ط1. 1416ه/1990م، ص:78.

2 علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، د.عدنان محمد زرزور. المكتب الإسلامي بيروت بدمشق، ط1.1401ه/1987م.ص:131.

3 المرجع السابق مناهل العرفان. ج1 ص:91

4 أسباب النزول: للواحدي، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، درا الصلاح، السعودية ط2، 1412ه/1992م.

بدليل آخر قياسا أو سواه. وبديهي أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة ».[1]

- « تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس ».[2]

ومنه فوائده عديدة رغم قول بعض الناس أنها ليست مهمة، فالمطلع على أسباب النزول تكون له دراية بالسبب الحقيقي لنزول كل آية ومن ثمة معرفة الوقائع التي كانت سببا مباشرا فيه، وهي في مجملها تكون أحداثا ومواقف خارجية مما يدخلها في الإطار السياقي.

3-طريقة معرفة سبب النزول:

الطريق إلى معرفة أسباب النزول كما ذكرها الزرقاني نقلا عن الواحدي هي : « النقل الصحيح، روي الواحدي بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الحديث إلا ما علمتكم فإنه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. ومن كذبن على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده النار ". ومن هنا لا يمل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسباب وبحثوا عن علمها. وعلى هذا فإن روي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول، وإن لم يعتضد أي لم يعزز برواية أخرى نقويه.وذلك لأن قول الصحابي فيها لا مجال للاجتهاد فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه على حين أنه خبر لا مرد له إلا السماع والنقل أو المشاهدة والرؤية. أما إذا روي بسبب النزول بحديث مرسل أي سقط من سنده الصحابي وانتهى إلى التابعي فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح واعتضد بمرسل آخر وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير »[3]. فيعتمد العلماء في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من الصحابة، لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه. وهنا تتدخل العناصر الخارجية للنص في ذاته.

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1 ص 94.

2 الرجع نفسه، ص 90.

3 المرجع نفسه، ص90.

4-تعدد الأسباب والنازل واحد:

وهي وقوع عدة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل آية واحدة لأجلها كلها وذلك واقع في مواضع متعددة من القرآن الكريم، والعمدة في ذلك على صحة الروايات وفيه يقول الإمام « إذا جاءت روايتان في نازل واحد من القرآن، وذكرت كل من الروايتين سببا صريحا غير ما تذكره أخرى، ننظر فيهما فإما أن تكون إحداهما صحيحة والأخرى غير صحيحة. وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولكن لإحداهما مرجح دون الأخرى. وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح لإحداهما على الأخرى، ولكن يمكن أخذ بهما معا. وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح ولا يمكن أخذ بهما معا فتلك صور لكل منها حكم خاص »[1] فقد أورد هنا أوجه تعدد الأسباب لنازل واحد حيث ذكرها الزرقاني على أربعة صور وهي:

الصورة الأولى: «وهي ما صحت فيه إحدى الروايتين دون الأخرى فحكمها الاعتماد على الصحيحة في بيان السبب ورد الأخرى غير الصحيحة »[2]. وهنا أخذ الإمام أمثلة في ذلك على سبب نزول سورة الضحى في ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جندب و ما أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة، وقد رجح في هذا الإمام الزرقاني القول الأول على الثاني في قوله: « فنحن بين هاتين الروايتين نقدم الرواية الأولى في بيان السبب لصحتها دون الثانية لان في إسنادها من لا يعرف »[3].

الصورة الثانية: وهي « صحة الروايتين كلتيهما ولإحداهما مرجح، فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة. والمرجح أن تكون إحداهما أصح من الأخرى أو يكون راوي إحداهما مشاهدا للقصة دون راوي الأخرى ».[4]

الصورة الثالثة: وهي « ما استوت فيه الروايتان في الصحة، ولا مرجح لإحداهما، لكن يمكن الجمع بينهما بأن كلا من السببين حصل ونزلت الآية عقب حصولها معا لتقارب زمنيهما فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه. قال ابن حجر: « لا مانع من تعدد الأسباب»[5]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 97.

2 المرجع نفسه، ص 97.

3 المرجع نفسه ، ص 98.

4 المرجع نفسه ص 98.

5 المرجع نفسه ص 99.

الصورة الرابعة: وهي« استواء الزاويتين في الصحة دون مرجح لإحداهما ودون إمكان للأخذ بهما معا ليبعد الزمان بين الأسباب فحكمها أن نحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول التي تحدثت عنها هاتان الروايتان أو تلك الروايات لأنه إعمال لكل رواية ولا مانع منه.قال الزركشي في البرهان: " وقد يترل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه" ».[1]

ويتضح لنا من الزرقاني أن ثمة أربعة حالات تتعلق بالنزول وأسبابه وهي تتفاوت حسب قوة الدليل والذي من خلاله يتم الترشيح أو عدم الترشيح، في الحالة الأولى تكون فيها روايتان إحداهما صحيحة والأخرى دون ذلك فيتم العمل بالأولى وإهمال الثانية، والحالة الثانية تكون فيها الروايتان صحيحتان ولكن أحداهما أكثر ترجيحا فيتم العمل بالأولى وإهمال الثانية، والحالة الثالثة صحتهما معا ومتساويان في الترجيح فنعمل بكلتيهما، والرابعة صحتهما معا مع التساوي في الترجيح لكن عدم الأخذ بهما لبعد زمن النزول بينهم. وقد وردت في ذلك عدة روايات وجميعها سياقية تعتمد على آراء العلماء واجتهاد الفقهاء.

5-تعدد النازل والسبب واحد:

وانتقل إلى موضع آخر من مواضع علم أسباب النزول وهو عكس ما سبق ذكره: تعدد النازل والسبب واحد وقال في هذا الإمام. « قد يكون أمر واحد سببا لنزول آيتين أو آيات متعددة "على عكس ما سبق" ولا مانع من ذلك لأنه ينافي الحكمة في إقناع الناس، وهداية الخلق وبيان الحق عند الحاجة بل إنه قد يكون أبلغ في الإقناع وأظهر في البيان.

مثال السبب الواحد تنزل فيه آيتان: ما أخرجه ابن جرير الطبري والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال: « إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء لا تكلموه. فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق العينين فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "علام تشتمني أنت وأصحابك" فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا: حتى تجاوز عنهم. فأنزل الله:﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[التوبة:74]

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 100.

وأخرج الحاكم وأحمد هذا الحديث بهذا اللفظ، وقالا فأنزل الله:﴿ يَوم يَبعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعا فَيَحلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحلِفُونَ لَكُم وَيَحسَبُونَ أَنَّهُم عَلَىٰ شَيءٍ أَلَا إِنَّهُم هُمُ ٱلكَٰذِبُونَ، ٱستحوَذَ عَلَيهِمُ ٱلشَّيطَٰنُ فَأَنسَىٰهُم ذِكرَ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزبُ ٱلشَّيطَٰنِ أَلَا إِنَّ حِزبَ ٱلشَّيطَٰنِ هُمُ ٱلخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة:18.19). »[1].

وجاء بأمثلة أيضا يكون فيها السبب واحد ولكن تتعدد آياته فيه قد تكون أكثر من آيتين ونجد في حالة تعدد النازل والسبب واحد حالتان تعرض لهما المؤلف بالدراسة والتفصيل وهما: الأولى يكون فيها السبب واحد ولكن تنزل فيه آيتان وفي الحالة الثانية يكون السبب واحد لكن تنزل فيه أكثر آيتين وقد وردت في ذلك العديد من الدلائل والتي ساقها الزرقاني وفي الغالب هي أقوال منسوبة للحاكم وأحمد.

6-العموم والخصوص بين لفظ الشارع وسببه:

تحت هذا العنوان قدم الزرقاني تلخيصا متعلقا بأسباب النزول وما يتوافق معها من ألفاظ تكون في العموم أو الخصوص حسب ما يريده الشارع جوابا على سؤال أو أسئلة تستدعي ذلك. ومثال ذلك أورد الزرقاني أمثلة منها « الجواب الذي يسب بمستقل فحكمه أن يساوي السؤال في عمومه باتفاق الأصوليين ويساوي أيضا في خصوصه على الرأي السائد عندهم » .[2]

ومثال آخر وهو مختص ب « الجواب المستقل: فتارة يكون مثل السبب في أن كلا منهما عام أو خاص وحكمه إذن أنه يساويه »[3] . وهذا القول قدمه الإمام في صورة أحاط بها من كل جوانبها مقدما أمثلة لتقريب الفهم وإزالة الغموض. ثم التنقل بعدها إلى صورة أخرى هي عموم اللفظ وخصوص سببه وفي هذه الحالة حسب الزرقاني يكون الجواب أكثر شمولا من السبب نفسه بمعنى أن الجواب يشتمل على السبب وما دون ذلك، إذ أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء وهؤلاء إلى أفراد غير السبب.

وقد استعان الكاتب بأدلة لجمهور العلماء للتدليل على ما ذهب إليه مع اختلاف تأويل هؤلاء وحججهم وفهم كل واحد منهم وتقديم وجهة نظره في الموضوع.

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 102.

2 المرجع نفسه، ص104.

3 المرجع نفسه، ص106

المطلب الرابع: في المكي والمدني من القرآن الكريم

اعتنى علماء المسلمين عناية كبيرة بدراسة القرآن الكريم وما يتعلق بزمن نزوله وأماكن النزول ونحو ذلك، فما من آية إلا وعرف الصحابة رضي الله عنهم أين نزلت، ومتى نزلت وفيم نزلت، ولا شك أن هذا يحتاج إلى جهد كبير بذله العلماء حتى عرفوا: ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل صيفا، وما نزل شتاءا، أو ما نزل في الحضر وما نزل في السفر وغير ذلك من أنواع التي درسها العلماء في المبحث المكي والمدني.

ويحسن بنا أن نعرض ابتداء المفهوم المكي والمدني وبعض مسائل تتصل به.

1-مفهوم المكي والمدني لغويا:

يتكون مصطلح المكي والمدني من جزأين وسنتطرق إلى تعريف الجزأين لغويا.

المكي لغة: "يفتح الميم، وتشديد الكاف- نسبة إلى أشرف بقعة علو وجه الأرض، مترل الأنبياء، ومهبط الوحي. "[1]

وهي نسبة قياسية، آخره "تاء التأنيث نقول في مكة((مكي)) وفاطمة ((فاطمي))"[2]

والمدني: نسبة غلبت على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال السمعاني: "أكثر ما يناسب إليها يقال: المدني والمدنية، قلت: الأفصح أن يقال: مدني، على وزن فعلي، كصحفي في صحيفة"[3]

ويقول الحميري في المدينة "هو اسم غلب على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى ﴿**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾ (المنافقون:8)، وقال تعالى:﴿**مِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾(التوبة:101) "[4]

---

1 الأنساب- الأسمعي، ج5 دار الجنان، الأردن، عمان ط1، تج: عبد الله عمر البارودي، 1408ه/1988م، ص376

2 معجم القواعد العربية في النحو والصرف، عبد الغني الدقر، دار القلم دمشق، ط1، 1406ه/1986م ص497.

3 المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، 1420ه/1999م ص: 37.38.

4 الروض المعطر في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تج/ دكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975، ط21984،529

فهنا قد عرضنا المعنى اللغوي للكلمتين مكي ومدني اللذان هما محل دراستنا الآن في القرآن الكريم وبعده سوف ننتقل إلى تعريفهما الاصطلاحي.

2-اصطلاحات في معنى المكي والمدني

إن علم المكي والمدني جزء من علوم القرآن، فعلوم القرآن اسم جامع يقصد به أنواع شتى من البحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، ففيه بحثت كثيرا لأجد مفهوم ما اصطلح عليه القدماء في المكي والمدني، ونلاحظ في هذا ما قاله أبو بكر الباقلاني في نصه « فأما المكي والمدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة والجمهور منهم إذا كان حالهم وشأنهم في حفظ القرآن وعظامه وقدره في نفوسهم ما وصفناه بما نزل منه في مكة ثم في المدينة، ولإحاطة بذلك والأسباب والأحوال التي نزل فيها ولأجلها »[1]، وقيل أيضل فيما يتعلق بها « فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية، ولو كان ذاك بعد الهجرة، ومدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع وقد نقل السيوطي في الإتقان عن الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم من حديث أبي أمامه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنزل القرآن في ثلاث أمكنة: بمكة والمدينة والشام)) قال الوليد: يعني بيت المقدس وقال الشيخ بتبوك أحسن »[2]، وكذلك أوضحها الزرقاني حيث بين لنا أن العلماء قد اتفقوا في معنى المكي والمدني ثلاث اصطلاحات. فالأول كما ذكرناه القول الفارط لكنه قال فيه: « لا ريب أن عدم الضبط في التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام،وذلك عيب يخل بالمقصود أول من التقسيم، وهو الضبط والحصر.

الاصطلاح الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خط ابب أهل المدينة وعليه يحمل القول من قال: إن ما صدر في القرآن لفظ ((يا أيها الناس)) فهو مكي، وما صدر فيه بلفظ ((يا أيها الذين آمنوا)) فهو مدني؛ لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخوطبوا يا أيها الناس، وإن كان غيرهم داخلا فيهم، ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة، فخوطبوا ل يا أيها الذين آمنوا، وإن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا...الاصطلاح الثالث: وهو المشهور، أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة

---

1 انتصار للقرآن، أبي بكر الباقلاني، تح: د. محمد عصام قضاة، دار ابن حزم، بيروت، بينان، ط1، 1422ه/2001م، ص247.

2 المكي والمدني في القرآن الكريم، محمد عبد الرحمان الشايع، مكتبة الملك رياض، ط1428،1ه/1997م، ص7.

وإن كان نزوله بمكة، وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم سليم صحيح: لأنه ضابط حاصر ومطرد، لا يختلف، وخلاف سابقيه، ولذلك أعتمدهم العلماء واشتهر بهم. »[1]

وخلاصة القول: أن التعريفات السابقة هي خلاصة ما قيل في تعريف المكي بمعناه المراد به بتحديد مصطلحية، وما أثير حول هاذين المصطلحين من جدالات واعتراضات كما تطرق لها الإمام الزرقاني في الاصطلاح الثاني، ومناقشات فقد كان محل دراسة العديد من العلماء لأنه علم شاسع.

3-فوائد العلم بالمكي والمدني

لا شك أن لكل علم له فوائد، وبما أننا ندرس في موضوع شيق لابد لنا أن نذكر الفوائد التي تتمحور حوله ونلخص هذه الفوائد في ما يلي:

.الفائدة الأولى: « تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للملكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي. »[2]، وقال كذلك الحارث المحاسبي عند حديثه عن الناسخ والمنسوخ أنه « فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من أمر وأحكام نزل بمكة أو المدينة، فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ: لأنه الآخر في النزول. »[3]

.الفائدة الثانية: « معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد، وسيستقبلك في هذا المبحث الفروق بين المكي والمدني نلاحظ فيها جلال هذه الحكمة. » [4]

الفائدة الثالثة: « الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى يعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها... . » [5]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص159. 160.

2 المرجع نفسه، ص161

3 فهم القرآن ومعانيه، الإمام الحارث بن أسد المحاسبي: تح خالد رمضان أحمد، ط1، 1436ه/2015م، (د.ن) ص161.

4 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص161.

5 المرجع نفسه، ص 161

فهذه هي مجمل الفوائد التي نستطيع أن نحصل عليها من معرفتنا للمكي والمدني، كما أن هنالك فائدة لم يتسنى لنا ذكرها ألا وهي المعرفة بالسيرة النبوية للرسول صلى الله عليه وسلم والحق هي فوائد يستفيد منها كل من أراد التعمق في مجال التفسير وعلوم القرآن.

4-الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني

فيما سبق ذكرنا مفهوم المكي والمدني في مفهومه اللغوي والاصطلاحي والفائدة من علمه، فهو ما سمع عن طريق الصحابة في الروايات الصحيحة واتضح لنا من خلالهم أن هناك ضوابط يعرف بها المكي والمدني.

المسألة الأولى: ضوابط المكي

للمكي ضوابط تستثنيه عن المدني وهي:

1: « كل سورة فيها لفظ "كلا فهي مكية" »[1]، وقد جاء في المعجم، « الفهرس أن هذه الكلمة وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة في خمس سور كلها في النصف الأخير كما ذكره الديريني في منظومته. »[2]، حيث قال الزرقاني «وما نزلت كلا بيثرب فأعلمنا و لم يأت في القرآن في النصف الأعلى. »[3] والحكمة من نزول "كلا" في النصف الأخير من القرآن هو ما قاله الزرقاني نقلا عن العماني « والحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل كثرة بمكة وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجب التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم. »[4]

2:« كل سورة فيها سجدة فهي مكية لا مدنية. »[5]

3:« كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بإجماع وفي الرعد خلاف. »[6] وكذلك قال المكي « وكل سورة أولها حروف المعجم مثل: الر، وحم وشبهه فهي مكية، سوى سورة البقرة وآل عمران وفي الرعد اختلاف. »[7]

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص162

2 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص619.

3 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص162

4 المرجع نفسه، ص162

5 المرجع نفسه ص162

6 المرجع نفسه ص162

7 إيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، أبي محمد نكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار المنارة جدة، ط1، 1406ه/1986م، ص114

4: « كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم السابقة فهي مكية سوى سورة البقرة. » [1]

5: « كل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مكية ولكنه ورد على هذا ما تقد بين يديك من سورة الحج. »[2] وقيل أيضا « يا أيها الذين آمنوا فهو مدني، يا أيها الناس، فقد وقع في المكي. »[3]

فهذه هي الضوابط التي نميز بها القرآن المكي عن المدني، فهو موقفي ومتفق عليه.

المسألة الثانية:

ضوابط المدني وهي ثلاثة كما ذكرهم الزرقاني:

1: « كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية

2: كل سورة فيها إذن بالجهاد والبيان كأحكام الجهاد فهي مدنية

3: كل سورة فيها المنافقين فهي مدنية ماعدا سورة العنكبوت، والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ماعدا الآيات الإحدى عشر الأولى منها، فإنها مدنية، وهي التي ذكر فيها المنافقون. »[4]

وورد كذلك أن الحذر فمن الضوابط الآتية منها ما هو مسلم أي صحيح ومنها ما يحتاج المناقشة، وإليها أشار الحافظ ابن كثير بقوله: « وقد أجمعوا على سورة أنها من المكي، وآخر أنها من المدني واختلفوا في آخر، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر. »[5]

فهذه الضوابط سياقية خرجت من إطار القرآن الكريم في ذاته فهي متعلقة بالمفسرين والعلماء.

5-السور المكية والمدنية والمختلف فيها

« نقل ها هنا الزرقاني ما جاء به السيوطي من أقوال في تعيين السور المكية والمدنية فقال: من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ إذ يقول: "المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه أثنتا عشر سورة ما عدا لذلك مكي باتفاق" ثم نظم في ذلك أبياتا رقيقة

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص162

2 المجرع نفسه، ص162

3 التسهيل لعلوم التنزيل، أبي القاسم الكلبي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415ه/1995م، ص8

4 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص163

5 فضائل القرآن لابن كثير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1416ه، ص11

جامعة، وهو يريد بالسورة العشرون المدنية بالاتفاق: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر.

ويريد بالسور الإثني عشر المختلفة فيها: سورة الفاتحة والرعد والرحمان والصف، والتغابن، والتطفيف، والقدر و لم يكن إذا زلزلت ،والإخلاص، والمعوذتين، ويريد بالسور المكية باتفاق ما عدا ذلك وهي اثنتان وثمانون سورة. »([1]).فاتفق العلماء عدا لنا الزرقاني هنا عدد الآيات المكية والمدنية

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص 163

المطلب الخامس: في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به:

ثم بعد أن ذكرنا نزول القرآن وأسباب نزوله، وبينا السورة المكية من المدنية مع اختلاف الروايات فيها والله يعلم إن كانت حقيقة أم لا فهو وحدة يعلم بحقيقة الأمر فجئنا هنا لنبين كيف تم تأليف المصاحف وطريقة جمعه وكل ما يتعلق بذلك ومن هنا سوف نبدأ بتفصيل هذا المبحث ونبدأ ب:

1- مفهوم جمع القرآن:

جاء في محاضرات في مقياس علوم القرآن، « يطلق جمع القرآن الكريم ويراد به ثلاثة أنواع:

الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره.

الثاني:جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله حروفا وكلمات وآيات وسورا

الثالث: جمعه بمعنى تسجيله وتسجيلا صوتيا. »([1]) فكل نوع من هذه الأنواع جاء د.عبد القيوم يشرحها مفصلا في قوله « حفظه واستظهره في الصدور: فقد حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما نزل عليه من الوحي في صدره الشريف، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ...﴾ ﴿الأعلى: 6_8﴾ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل بالقرآن في كل عام مرة وفي العام الذي انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى عارضه مرتين.

كتابته كل حروف وكلمات وآيات وسورا: وقد حدث ذلك في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان النبي ينادي واحدا من كتاب الوحي فيأمره بكتابة ما نزل عليه من الوحي، وكان صلى الله عليه وسلم يرشدهم إلى مواضع الآيات والسور، و لم ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوبا ومرتب الآيات في سورها، غير أنه لم يكن مرتب السور ولا مجموعا في مصحف واحد

1 محاضرات في مقياس علوم القرآن، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس (ل م د)د: إلياس بليج، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة1، كلية الآداب واللغات، 2019_2020، ص16.

الثاني: في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

الثلاثة: على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. »[1] حيث جاء فصل جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور مفصلا تفصيلا كاملا في مناهل العرفان وسنذكر منها « نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت همته بادئ ذي بدئ منصرفة إلى أن يحفظه ويستظهره، ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه وليستظهروه، ضرورة أنه نبي أمي بعثه الله في الأميين: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ ﴿الجمعة:2﴾ ومن شأن الأمي أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره، ويعينه استظهاره وجمعه، خصوصا إذا أوتي من قوة الحفظ والاستظهار.. . »[2] ذكر الإمام في هذا جميع خصائص ومزايا هذا النوع من وكل الأقوال المشيرة إليه للاستعانة بالكتب والأقوال العلماء المأثورة ولكننا سنركز في هذا السياق على الجمع بالمفهوم الثاني ألا وهو جمع القرآن بمعنى كتابته وقد جمع القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات:

2-الجمع الأول: جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ترى في كتاب جمال القراء يقول « بدأت كتابة القرآن الكريم بعد نزوله، فقد كتب جميعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء من القرآن دعا أحد كتاب الوحي من الصحابة الكرام فكتبه، ولكنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد بل كان متفرقا العسب، والحاف، والرقاع والأكتاف. »[3] وقال في هذا أيضا الإمام الزرقاني حيث ذكر في هذا أهم الكتاب « فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد اتخذ كتابا للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده... وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، فيهم أبو بكر، وعمر،وعثمان،وعلي، ومعاوية، وأيان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن القيس، وغيرهم. وكان صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع المكتوب من سورته، فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب واللحاف والرقاع وقطع

---

1 جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، عبد القيوم السندي، جامعة أم القرى بمكة (3.ط)، (د.ت) ص353، 357.

2المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص 197

3 جمال القراء، فصول في آداب أهل القرآن الكريم، إبراهيم الحميضي، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1434ه، ص159.

الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنه لم يكتب في صحف ولا في مصحف ولا في مصاحف.. . »[1] ومن خلال القولين نستنتج أن القرآن في عهد الرسول لم يكن في مصحف واحد، بل كان مفرقا، فحرص النبي من عدم تفلت شيء منه، فكان يردد كل ما يلقيه عليه جبريل عليه السلام، ولكن بعد نزول هذه الآية عليه ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)** ﴾" ﴿القيامة 17:18﴾ أصبح يستدعي الصحابة وليكتبوا. فلم تكن أدوات الكتابة متيسرة في ذلك الوقت فكما قال الزرقاني أنهم كانوا يكتبونه في السعي واللحاف والرقاع والأكتاف فهذه هي:

« السعب: هي جريدة النخل

اللحاف: وهي الحجارة الرقيقة

الرقاع: وهي قطعة من الجلد أو الورق

الأكتاف: جمع كتف وهي عظم عريض الإبل والغنم. »[2]

فهذه الأدوات أتت مفرقة

3-الجمع الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

ومما دار في الكتب والأحاديث المدونة أن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة حيث واجه فيها العديد من المشاكل من بينها كما ذكرها الزرقاني «منها موقع اليمامة سنة 12 اثنتي عشر للهجرة، وفيها دارت الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن. »([3])فقد كانت حروب الردة على حسب ذكرها حروب شديدة فخشي بعض الصحابة أن يذهب القرآن بذهاب حفظته غير أن أبي بكر عارض « فتردد أبو بكر أول الأمر لأنه

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص202

2 المرجع السابق محاضرات في مقياس علوم القرآن، ص17.

3 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص205

كان واقفا عند حدود ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف أن يجره التجديد والتبديل أو يسوقه الإنشاء والاختراع غلى الوقوع في مهاوي الخروج والإبداع. »[1]

(ولكن بعد طول الحديث بينه وبين عمر رضي الله عنه جاء بهذا السيوطي بحديث رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال «..فقلت: كيف تفعل شيء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال عمر: هو والله خير؛ فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا نهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فأجمعه –قالوا لله لو كلفوني نقل جبل من جبل ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن– قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم!قال: هو لله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللحاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره: "لقد جاءكم رسول..." حتى خاتمة براءة_ فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة. »[2]

فهذه هي أسباب جمع القرآن في عهد أبي بكر ومن خلال الحديث السابق نرى مدى اهتمام الصحابة بالمحافظة على القرآن من الضياع ومدى ثقة عمر وأبي بكر بزيد بن ثابت.

دستور أبي بكر في كتابة الصحف

قال في هذا الإمام الزرقاني « وانتهج زيد في القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر، فيها ضمان لحيطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ وحذر ودقيق، وتحريات شاملة، فلم يكتف بما حفظ في قلبه، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بإذنه بل جعل يتتبع ويستقصي آخذ على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين:

أحدهما: ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1،ص205

2 إتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تج: أبو الفضل إبراهيم، ج1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية(د.ت)، ص165

والثاني: ما كان محفوظ في صدور الرجال وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. »[1]

اهتم زيد اهتماما فائقا بجمع القرآن خوفا عليه من التحريف فقد أهمل في هذا الجمع ما نسخت تلاوته من الآيات.

4-الجمع الثالث: جمع القرآن على عهد عثمان -رضي الله عنه-

اتسعت رقعة الأمصار الإسلامية في عهد عثمان بن عفان، وتفرق الصحابة في أمصار يقرئون الناس القرآن، وأخذ كل بلد عن الصحابي الذي وفد إليهم قراءته « فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقر بقراءة وغيرهم يقرا بقراءة موسى الأشعري. »[2] « فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءة، فكان إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتى كان الأمر يصل غلى التراع والشقاق بينهم وإنكار بعضهم على بعض وبخاصة من الذين لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة القراءات القرآنية. »[3] فنقل الإمام قول ابن أبي داوود في المصاحف عن طريق أبي قلابة قال: « لما كانت خلافة، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، فعلم العلماء يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك على المعلمين، حتى كفر بعضهم بعض، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا. »[4]

فلهذا السبب والحدث جمع الصحابة عثمان -رضي الله عنه- على أن ينسخوا المصحف فقيل في ذلك « فأرسل عثمان غلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إلي، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان بن عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانها ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة،

---

1 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص 206.

2 المرجع نفسه، ص207

3 جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سليمان العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (د.ط)، (د.ت)، ص512.

4 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص 210.

فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمرهم بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. »[1]

فكتب المصاحف بالاتفاق بين الصحابة فأجمعوا على صحته وما كتبوا من آية إلا كما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ذلك الناس بأن يحرقوا ما عداها وأن لا يعتمدوا على غيرها. ومنها قطع عثمان كل الخصومات والنزاعات والفتن بشأن هذا.

دستور عثمان في كتابة المصاحف قال الزرقاني في هذا الشأن « ومما تواضع عليه هؤلاء الصحابة أنهم كانوا لا يكتبون في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن، وعلموا أنه قد استقر في العرض الأخير، وما أيقنوا صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لم ينسخ... وإنما كتبوا المصاحف متعددة، لأن عثمان -رضي الله عنه- قصد إرسال ما وقع إجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين و هي الأخرى متعددة، وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل غيرها، لأنه - رضي الله عنه- قصد استمالها على الأحرف السبعة. »[2] فهذا هو دستور الذي سار على نهج عثمان - رضي الله عنه- فقد عمل جاهدا على كتابته بحرف واحد من الأحرف السبعة ورتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن واقتصر على ما اتفقوا عليه وأهملوا غيره.

ففي هذا المطلب تتجلى مظاهر السياق والمواقف والأمكنة والأزمنة المتفق عليها الصحابة بشأن جمع القرآن الكريم وما مر به من مراحل ففي اول في عهد النبي كان قد دونه هو ومجموعة من الصحابة خشية إتلافه ونسيانه وكذلك الأمر جاءه من عند الله وأمر بالجمع فكان كل من الصحابة قد كتبوه في كتب مختلفة وعند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتولي أبي بكر الخلافة صار بعد ذلك خلافات وحروبات أدت إلى القتل أيضا فمن شدة تعلقهم بالإسلام ومن كثرة الاعتناء بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم خاف أن يذهب بعد أن تم قتل بعض من حفظة القرآن أمر بجمع القرآن فكلف زيد بن ثابت بذلك، فاقبع دستور محكم قد اتفق عليه وهو والصحابة في كتابة القرآن وجمعه فلما يكتب بما دونه هو بل جمعه كذلك من صدور الرجال وعند إكماله أخذ أبو بكر في الاحتفاظ به وعند موته أعطاه إلى زيد وهو أعطاه إلى الحفظة.

1 مدخل تفسير القرآن وعلومه، عدنان نحند زرور، دار القلم، دمشق بيروت، ط2، 1419ه/1998م، ص118.
2 المرجع السابق مناهل العرفان، ج1، ص 211.

وفي الأخير جاء جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان رضي الله عنه- فعندما جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان الهدف الأساس منه كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور،و لم يكن من أهدافه القضاء على المصاحف الخاصة التي جمع فيها بعض الصحابة القرآن الكريم لأنفسهم فقد ودونوه بعضهم بأحكام وتفسيرات وأحاديث اختلفت من واحد إلى آخر رغم علمهم أنه ليس في القرآن . ونتيجة الفتوحات الإسلامية أخذ كل واحد في مناطق مختلفة يعلم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اختلفت القراءات وكثرت النزاعات حول اختلافها، فعزم إذن عثمان- رضي الله عنه- على نسخ ما كان بحوزة حفصة وكتمها بحرف واحد مع مجموعة من الصحابة واتفاقهم فقد نهج دستورا واضحا في ذلك وهو ما عليه الآن.

المطلب السادس: في القراءات والقراء والشبهات التي أثيرت في هذا المقام.

لا يخفى لنا أن علم قراءة القرآن أقدم العلوم في الإسلام نشأة وعهدا وأشرفها مترلة، حيث كان أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته ثم لما اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاضه مشت الحاجة لنا إلى علم يميز به بين الصحيح المتواتر والشاذ النادر، فهو يساعدنا لمعرفة ما يجب علينا القراءة به وما لا يجب علينا ذلك، وقاية لكلماته من التحريف ودفعا للخلاف بين أهل القرآن فكان ذلك العلم علم القراءة الذي تصدر لتدوينه الأئمة للإعلام من المتقدمين، وهنا بادئ بدأ يجب علينا توضيح بعض المفاهيم النظرية .

1- تعريف القراءات

1-1- في اللغة: « جمع قراءة والقراءة في اللغة : مشتقة من مادة (قرأ) وهي مصدر للفعل قرأ، يقال : قرأ يقرأ قرأن وقراءة، فكل منهما مصدر للفعل، وهو على وزن (فعالة) وهذا اللفظ يستعمل للمعاني التالين :

1: الجمع والضم أي جمع وضم الشيء إلى بعضه، ومنه قولهم : (وما قرأت الناقة جنينا) أي لم تضم رحمها على ولد، أو ما جمعت أو ضمت في رحمها جنينا، وقد تقدم بيانه في تعريف القرآن أنق

2: التلاوة، وهي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم: (قرأت الكتاب) أي تلونه، وسيما التلاوة قراءة لأنهم الأصوات الحروف في ذهنه لتكوين الكلمات التي ينطق بها. » [1]

وعند الزرقاني كذلك هي : « جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ. » [2]

ويتبين لنا من القولين السابقين أن مفهوم القراءات مشتركة بينهما فكلاهما يجمع على أنها جمع مفرد قراءة وهي مصدر.

1- 2-في الإصطلاح : لعلماء القراءات تعريفات متعددة أذكر منها ما يلي :

تعريف الزركشي : «هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتبه الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها ». [3]

---

1 علم القراءات، نشأته وأطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل أل إسماعيل مكتبة التوبة الرياض. السعودية، ط 1، 1421هـ/ 2000م. ص 26

2 المرجع السابق مناهل العرفان :ج 1 . ص 336

3 المرجع السابق، البرهان في علوم القرآن للزركشي . ج 1 ، ص 318

تعريف الإمام القسطلاني : قال « فليعلم أن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلاف فهم (في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك الإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النقط والإبدال، من حيث السماع، أو يقال ((علم يعرف منه إنفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل، من حيث النقل أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزو الناقلة ».[1]

وقال طاش كيري زاده: « هو علم يبحث فيه عن صورت تظم كلام الله تعالى من حيث وجوه اختلافات المتواترة، وقد يبحث فيه أيضا عن صور تظم الكلام من حيث اختلافاته الغير المتواترة إلى حد الشهرة ».[2]

وفي اصطلاح القراء أنه « للقراءات وجوه مختلفة من أداء من النواحي الصوتية أو التصريفية، أو النحوية واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغاير الاختلاف تضاد وتناقض والتضارب يتتره عنهما الكتاب العزيز. ».[3]

وعند الزرقاني هي: « مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء خالف به غيره في النطق الكريم أتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها ».[4]

ومن خلال هذه التعريفات حول مفهوم القراءات كما بين الزركشي والزرقاني أنها على ألفاظ القرآن المختلفة فيها .

2-نشأة علم القراءات

يمكن تقسيم نشأة علم القراءات إلى مراحل تطور علم القراءات.

وفي هذا قال الإمام : « إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ، ثقة عن ثقة وإمام عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب، إنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتاب ربهم، ولكن في حدودها تدل عليه وتعينه، دون

---

1 لطائف الإشارات لفنون القراءات، لأبن أبي العباس أحمد القسطلاني، د ط ، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة ، 1434 هـ ، ص 170 .

2مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كيري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مجلد 2. ط 1 ، 1405 هـ /1985 م ، ص 6

3 في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، د: السيد رزق الطويل، مكتبة الفضيلة مكة المكرمة ، ط 1 ، 1405 هـ / 1985 م ، ص 27 .

4 المرجع السابق مناهل العرفان ، ص 336 .

ما لا تدل عليه تعينه، وقد عرفت أن المصاحف لا تكن منطوقة ولا مشكولة، وأن صورة الكلمة فيها كانت محتملة لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، إذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف، ثم كتبت في مصحف أخر بوجه أخر هلم جرا، فلا غزو أن كان التحويل على الرواية والتلقي هو العمدة في باب القراءة والقرآن ».[1]

وقيل فيها أيضا « فعلم القراءات القرآنية هو عبارة عن دراسة:

1: مجموعة الأساليب اللفظية للقراءة (المد والإدغام، الغنة، الإمالة، التقليل، أحكام كيفية نطق الهمزة و الهمزتين...) وهي ما نسميه الأحكام التجويدية للقراءات ومن ضمن الأساليب التجويدية يوجد الاختلافات اللفظية.

2: تحديد إقترانات الأحكام التجويدية الثابتة الخاصة بكل رواية وطريقة إلى القارئ والتي ميزت قراءته حيث اختصت كل قراءة بقرن كيفيات تجويدية وباقترانات بين الأحكام والأحرف التي تتناولها كل قراءة...

3: كيفية قراءات الكلمات ضمن الآيات (وهو اختلاف الحرف الذي ذكرناه) وهناك شروط ثلاثة وضعت لقبول هذا الحرف: السند ووجود وجه في لغات العرب تقبله، موافقة رسم المصحف ».[2]

فهنا في كلتا الكتابين بينوا لنا أول ما يبدأ به طالب العلم ومن بينها حفظ القرآن وتعلم التلاوة والتجويد.

3-طبقات الحفاظ المقرئين الأوائل:

في كل طبقة من طبقات الأمة المختلفة اشتهر فيها جماعة بحفظ القرآن وإقراءه ومن هنا سوف نتطرق لكل طبقة مع أشهر قراءها: « فالمشهورون من الصحابة بإقراء القرآن عثمان وعلي وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وبن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، وسائر الذين أرسلهم عثمان بالمصاحف إلى الآفاق الإسلامية.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ص 336، 337.

2 تسهيل علم القراءات الجامع لكل من طريقتي الشاطبية والدرة والطيبة، الأستاذ أيمن بقلة، ط1، 1430ه-2009، (د د ن)، ص 71-72

والمشتهرون من التابعين ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار وأخوه عطاء وزيد بن اسلم، ومسلم بن جندل وابن شهاب الزهري وعبد الرحمان بن هرمز ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القارئ (وكل هؤلاء كانوا بالمدينة).

وعامر بن القيس وأبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحي بن يعمر وجابر بن زيد والحسن وبن سرين وقتادة وغيرهم (وهؤلاء كانوا بالبصرة)

وعلقم والأسود ومسروق وعبيدة والربيع بن خيثم والحارث بن قيس وعمر بن ميمونة وأبو عبد الرحمان السلمي ورز بن بن حبيش وعبيدة بن نضلة وأبو زرعة بن عمرو وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي (هؤلاء كانوا بالكوفة).

والمغيرة بن ابي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان، وخليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء وغيرهم (وهؤلاء كانوا بالشام) ». [1]

فهؤلاء الذين سماهم الزرقاني من الصحابة والتابعين هم الذين يحكا عنهم أنهم عظموا القراءة وإن كان الغالب عليهم الفقه والحديث.

فالزرقاني هنا لم يقصد بدراسته هذه استقصاء تاريخ القراء ولا أدوار التي مرت على قراءاتهم. فهذه الدراسة معمقة اعتنى بها بن الجزري في طباقات القراء.

4-القراء السبعة رحمهم الله:

ومن بين هؤلاء:

« 1: ابن عامر:

اسمه عبد الله اليحصبي، نسبه إلى يحصب وهو فخذ من حصير ويكني أبا نعيم، وأبا عمران وهو تابعي جليل. لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1 المرجع السابق مناهل عرفان، ص 338 وكذلك التسيير في القراءات السبع الإمام بن عمر وعثمان بن سعيد الداني، (د ط)، (د ت)، ص 4-10.

2: ابن كثير:

هو أبو محمد أو أبو معيد، عبد الله بن كثير الداري، كان إمام الناس في القراءة بمكة تحفة السكينة ويحوطه الوقار. لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك

3: عاصم:

هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي والنجود بفتح النون وضم الجيم مأخوذ من نجدت الثياب إذا سويت بعضها ببعض.

كان قارئا متقن آية في التحرير والإتقان والفصاحة وحسن الصوت بقراءة القرآن قرأ على زر بن حبيش، على عبد الله بن مسعود، على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4: أبو عمرو

هو أبو عمرو زبان بن العلا بن عمار البصري. كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة في الدين، روي عن مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ على جماعة منهم أبو جعفر وزيد بن القعقاع والحسن البصري. وقرأ الحسن على حطان وأبي العالية وقرأ أبو العالية على مر بن الخطاب.

5: حمزة:

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي. قرأ على ابي محمد سليمان بن مهران الأعمشي، على يحي بن وثاب، على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود، على النبي صلى الله عليه وسلم، كان ورعا عالما بكتاب الله، مجودا له عارفا بالفرائض والعربية حافظ للحديث توفي بحلوان سنة 156 ست وخمسون مائة.

6: نافع:

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم المدني. أخذ القراءة عن أبي جعفر القارئ وعن سبعين من التابعين، وهم أخذوا عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانتهت إلي رياسة الإقراء بالمدينة المنورة. توفي سنة 169 تسع وستين مائة.

7: الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي، لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابس كساء قال أبو بكر الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب وكان أوحد الناس بالقرآن. فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون منه يضبطون عنه. توفي سنة 189 تسع وثمانين ومائة وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري...

8: أبو جعفر:

هو زيد بن القعاع القارئ نسبه إلى موضعه بالمدينة يسمى: قارا وقد سبق أنه أخذ عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة، عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي أبو جعفر سنة 130 ثلاثين ومائة، وكان تابعيا جليل القدر، رفيع المترلة...

9: يعقوب :

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل وقرا سلام على عاصم وعلى أبي عمرو. توفي سنة 205 خمس ومائتين...

10: خلف:

هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن هشام، قرأ على سليم عن حمزة وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى، وعلى أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري صاحب المفضل الضبي، وعلى أبان العطار، وعم عن عاصم، وتوفي خلف سنة 229 تسع وعشرون ومائتين كما سبق ترجمة حمزة.

11: الحسن البصري:

وهو السيد الإمام الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري الغني بشهرته عن التعريف المتوفى سنة 110 عشر ومائة.

12: ابن محيصن:

هو محمد بن عبد الرحمان السهمي المكي، مقرأ أهل مكة مع ابن كثير المتوفى سنة 123 ثلاثة وعشرون ومائة.

13: يحي اليزيدي:

هو يحي بن المبارك بن المغير الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي. المتوفي سنة 202 إثنين ومائتين.

14: الشنبوذي:

هو محمد بن أحمد بت إبراهيم يوسف بن العباس بن ميمون أبو الفرج الشنبوذي الشطري البغدادي، المتوفي سنة 388 ثمان وثمانين وثلاثة مائة » [1]

فقد عرض علينا في هذا الكتاب تاريخ كل قارئ من هؤلاء العشر ذاكر لنا كل إمام شيوخه الذي نقل عنهم ورواته الذين رووا عنه وأشهر من روي قراءته ومنهج كل إمام في القراءة.

ففي هذا المبحث نجد أن العناصر التي تناولها الزرقاني والمتمثلة في علم القراءات وطبقة الحفاظ والمقرئين والقراء السبعة تدخل جميعها ضمن المناهج السياقية لأنها ترتكز على جوانب بحثية تكون مرجعيتها تاريخية دينية.

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج1، ص 367-374.

المطلب السابع: في التفسير والمفسرين وما يتعلق به:

قبل أن نخوض مع الإمام الزرقاني في هذا الموضوع، يجب علينا أولا أن نتطرق إلى التعريف بالمفاهيم اللغوية المتعلقة بهذا المطلب.

1- مفهوم التفسير:

1 -1- لغة: « من الفسر، وهو: الكشف عن المغطى »[1] وأيضا « التفسير هو الإيضاح والتبين ومنه قوله تعالى﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [الفرقان: 33] وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، قال في القاموس (الفسر، الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل: كضرب ونصر) »[2] وقيل أيضا « التفسير: مصدر فسر بتشديد السن ن الذي هو مضعف فسر بالتخفيف من باب نصر وضرب الذي مصدره الفسر، وكلاهما فعل متعد فالتضعيف ليس للتعدية.

والفسر: الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسر من السامع ثم قيل: المصدران والفعلان متساويان في المعنى، وقبل يختص المضعف بإبانة المعقولات. »[3]

وإلى غير ذلك من المعاجم العربية التي شرحت التفسير ونستنتج منهم أنه من الفسر وهو الإبانة والكشف والإظهار والإيضاح والتبين.

1-2- اصطلاحا: يرى بعض العلما أنه:

« علم يفهم به كتاب الله تعالى المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج حكمة وأحكامه »[4] وعرف أيضا في كتاب نفحات في علوم القرآن: « عرفوه بأنه علم يبحث عن كيفية الفهم لألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامه الإفرادية والتركيبية ومعانيه التي تحمل عليها حالة التركيب وقال بعضهم التفسير هو الإبانة وكشف المراد من اللفظ... وقد عرفه

---

1 تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثمين، المجلد الأول، دار ابن الجوزي، د ط، د ت، ص28.

2 التفسير والمفسرين د: محمد حسين الذهبي ج1، د ط، د ت، مكتبة وهبة، ص12.

3 تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993/1413، ص 9-10.

4 علوم القرآن الصف الأولى ثانوي، مدارس تحفيظ القرآن، وزارة التربية والتعليم الرياض،1428ه-2007م، ص 112.

الزركشي بقوله: التفسير علم يفهم بن كتاب الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»

وعرفه الإمام الزرقاني بأنه « علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية »[1]

وهذه التعريفات تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدرة الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد.

وفي دراستنا لأقوال العلماء في تعرفهم لهذا ووجدناهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة، فهم إذا اختلفوا في الفظ إلا أنهم متحدون من جهة المعنى وما تهدف إليه.

2- التأويل:

2- 1-لغة: في البحر المحيط:« أصله من الأول وهو الرجوع، فكأن المؤوّل للآية رجع بها ما تحمله من المعاني، وقيل: مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، وكأن المؤول للكلام ساسه، وتناوله بالمحاورة والمداورة حتى وصل إلى المراد منه »[2]

وفي قاموس المحيط: « أول الكلام تأويلا وتأوله: دبره وقدره وفسره » ويقول الطيب قواوة فيه أيضا: « ويأتي التأويل في لغة العرب بمعنى التفسير أيضا، التأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا بيان غير لفظه، وهذا المعنى ليس بعيد عن المعنى السابق، فالتفسير تأويل، لأن المفسر يراجع نفسه عند الشرح والبيان ويدبر الكلام ويقدره ففيه معنى العود والرجوع.»[3]

وقد ورد ذكرها في عدة آيات من القرآن الكريم منها ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾[الأعراف:53] ﴿**وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف 6]. وغيرهم من الآيات

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص 6.

2 المرجع السابق، البحر المحيط، ص 11.

3 المرجع السابق، مقال الانسجام النصي وأدواته، ص 68.

وعلى هذا فيكون التأويل مأخوذا من الأول بمعنى الرجوع، إنما هو باعتبار أحد معانيه اللغوية، فكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.

2-2 -اصطلاحا:

الإمام الزرقاني جاء بتعريفات من علماء مختلفين قائلا: « ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ومنه قو مجاهد (إن العلماء تأوليه-يعني القرآن-)وقول ابن جرير في تفسير القول في تأويل قوله تعالى كذا ... واختلف أهل التأويل في هذه الآية..» [1]

وقيل أيضا: « تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا متزاد فنيا... هو نفس المراد بالكلام، فإن كان للكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا، كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام، كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان ...» [2]

3- أقسام التفسير:

جاء الإمام الزرقاني على سنة بعض العلماء قائلا « وعن عباس – رضي الله عنهما – أن التفسير أربعة : حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسيره العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله .

قال الزركشي في البرهان ما خلصه : ((هذا تقسيم صحيح، فأما الذي تعرفه العرب بألسنتها فهو ما يرجع إلى ألسنتهم من اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها، ومسميات أسمائها، لا يلزم ذلك القارئ...

وأمالا يعذر أحد بجهله ما تبادل إلى الأفهام معرفة معناه من النصوص المتضحة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحد يعلم أنه مراد الله تعالى....

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان، ج2، ص 7.

2 المرجع السابق، التفسير، والمفسرين، ص15.

وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو ما يجري مجرى الغيوب، كالآيات التي تذكر فيها الساعة، والروح والحروف المتقطعة وكل متشابه في عند أهل الحق فالإمساغ الاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوفيق، بنص من أو الحديث أو إجماع الأمة .

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتمادا على الدلائل والشواهد دون مجرد)) المقصود منه. لكنه لم يلتزم فيه ترتيب الأقسام على ما روي عن ابن عباس ولا ضير في ذلك مادام أنه قد استوعب عدتها الأربعة كما رأيت.» [1] . بين لنا في هذا السياق الأقسام الأربعة للتفسير التي نقلها مع شرح بسيط لها، وتفهم وقسم أخر يتعلق بتأويل الله للقرآن وفهم العلماء ومن خلال الاجتهاد وفي المحمل فإن التفسير الذي يعتمد على اللغة والإعراب وفهم العامة من النصوص واجتهاد العلماء، تدخل جميعها في ماهو متعلق بالسياق.

4- المفسرون من الصحابة [2]

بعد تفسير الصحابة رضوان الله عليه- الكريم أحد أهم مصادر التفسير أبرزها، وذلك أنهم أهل اللسان الذي نزل به ، كما أنهم شهدوا تتريله وعرفوا أحواله فصاروا أقدم على إدراك مراميه وفهم دلالته، وقد ذكر الزرقاني في قوله هذا جميع المفسرين قائلا « قال : السيوطي في الإتقان : وأشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و الرواية عن الثلاثة قليل جدا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم)) فمعنى هذا السبب في إقلال الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان من التفسير، أنهم كانوا في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله، واقعون على أسرار التتريل، عارفون بمعانيه وأحكامه، مكتملة فيهم خصائص العروبة، أما الإمام على —رضي الله عنه- فقد عاش بعدهم حتى كثرت حاجة الناس في زمانه إلى من يفسر لهم ، وذلك من اتساع رقعة ، ودخول عجم في هذا الدين الجديد كادت تذوب بهم خصائص العروبة، ونشأ جيل أبناء الصحابة في حاجة إلى علم الصحابة... وأما الباقي

1 المرجع السابق مناهل العرفان. ج 2. ص : 11،12 .

2 المفسرون من الصحابة جمعا ودراسة وصيغة لـــ : عبد الرحمن عادل عبد العال رشد ج 1، الرياض، ط 1، 1437 هـــ/2016م.

من العشرة، وهم زيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن زبير، فمع شهرتهم في التفسير كانوا أقل من الأربعة الذين قبلهم .

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء العشرة شيء من التفسير، بيد أنه قليل منهم أفشى، وأبو هريرة، وابن عمر، وجابر، وعمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين- رضي الله عنهم أجمعين .» [1] وفي بيان كلام الزرقاني في ذكره للمفسرين من الصحابة. فقد أخذ في مبدأ كلامه من السيوطي حيث عد الصحابة الشعر كما ذكرهم من المفسرين وأشهرهم. وبما أن القرائي العلماء يعتمدون في تفسيرهم على جميع الاجتهادات السابقة والتأويلات المتعلقة بالنص بالإضافة إلى فهمهم للنصوص واجتهاد في الرأي، وعليه فإن منجزاتهم تدخل جميعها ضمن الإطار السياقي والذي يتخذ من المستندات الخارجية مصدرا لاستقاء المعلومة والاستفادة منها .

5- تدوين التفسير بالمأثور وخصائص الكتب المؤلف في ذلك :

ولتوضيح ذلك أولا نتطرق إلى تعريف موجز التفسير المأثور، « يشمل التفسير المأثور من جاء في الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم .» [2] فالتفسير بالمأثور قد يكون بالرأي، وينسب إلى من فسرهن سواء كان من الصحابة أو من التابعين، أو من بعضهم، وبناءا على ذلك ذكر الزرقاني في قوله « جاء قرن تابعي التابعين، وفيه ألفت تفاسير كثيرة، جمعت من أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، وكيع بن الجراح وشعبة ابن الحجاج ، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق وأبي بكر بن أبي شيبة، علي بن أبي طلحة، البخاري وآخرين، ومن بعدهم ألف ابن جرير الطبري كتابه المشهور وهو من أجل التفاسير، ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه، وابن مردويه، وابن حيان، وغيرهم .» [3] فكل كتب التفاسير لهؤلاء معتمدا على تفسير الصحابة التابعين ولكن الزرقاني استثنى ابن جرير لأنه تعرض لتوجيه الأقوال .

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان ج2، ص: 14، 16.

2 الدار المنشور في التفسير المأثور، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي دار الفكر، بيروت ، لبنان. ج 1، 1432هـ/2011م ص 6 .

3 المرجع السابق، مناهل العرفان ج2 ص: 25.

5-1- تفسير ابن جرير:

يقول الإمام: « ابن جرير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري.... حافظ لكتاب الله وخبرة لمعانيه وإحاطة بالآيات ناسخها ومنسوخها وبطرق الرواية صحيحها وسقيمها وتجوال الصحابة والتابعين، ولذلك كان تفسيره من أجل التفاسير بالمأثورة وأصحها وأجمعها لما ورد عن الصحابة والتابعين عرض فيه، لتوجيه الأقوال ورجح بعضها على بعض وذكر فيه الكثيرة من الإعراب واستنباط الأحكام .» [1] قد جاء الزرقاني بنبذة عن حياة ابن جرير وصحة تفاسيره المأخوذة عن الصحابة لأنه له الدراية الكافية لما ورد عنه، وانه لا نظير له من التفاسير.

5-2- تفسير أبي الليث السمرقندي:

وفيه يقول الزرقاني: « هو تفسير بالمأثور، يذكر فيه كثيرا من أقوال الصحابة والتابعين غير أنه لا يذكر الأسانيد، وهم مخطوط في مجلدين، وموجود في مكتبة الأزهر .» [2]

وكذلك ذكر الدر المنثور في التفسير المأثور . فهو كتاب الغمام جلال الدين السيوطي بين في مقدمته التفسير بالمأثور وبدأ بعدها بسورة الفاتحة إلى غاية سورة الناس وإلى غير ذلك من كتب التفاسير والمفسرين التي أورد الإمام الزرقاني من بينها ك تفسير بن كثير وتفسير البغوي وتفسير بقي من مجلد وأسباب النزول للواحدي والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس [3]

فقسم التفسير والمفسرين تتخلله العديد من السياقات التي ندرجها خارج إطار النص القرآني، فهو يرتبط بمفهوم كل مفسر من خلال تفسيره للقرآن ويختلف ذلك بينهم.

---

1 المرجع السابق، مناهل العرفان ج2 ص: 25.

2المرجع نفسه، ص : 26 .

3بتصرف من كتاب مناهل العرفان ج2 . ص : 26، 27 .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبعونه وتوفيقه تقضى الحاجات، فقد أتينا على ختام هذا البحث، وقبل طي آخر صفحاته نسوق أهم النتائج المتوصل إليها:

-وهو أن الإمام الزرقاني اختيار منهج علمي صارم، تتبع من خلاله جل الدراسات التي سبقته في مجال علوم القرآن ويتجلى لنا ذلك من خلال المباحث التي تطرق فيها إلى عدة موضوعات كالتفسير و النسخ وغيرها.

ويتضح لنا أن للنص القرآني ضوابط علمية تحكمه والتي اعتمدها المؤلف في كتابه منها الدقة في توظيف المعلومات مستعينا بأقوال أشهر العلماء.

أن القرآن الكريم من أيّة ناحية أتيناه، لا نرى فيه إلا أنوارا متبلّجة وأدلة ساطعة على أنه كلام الله. تام الأجزاء متناسق الآيات والسور، فهو كالسلسلة الواحدة، وكل لفظ فيه يختص بمعنى وينفرد به، فكل منها وضعت في موضعها اللائق بها من النص، بحيث تكتسب في إطار النظم و السياق مزايا دلالية وبلاغية لا حصر لها.

فللنص القرآني معجزا نظما وتركيبا ولفظا ومعنى، وهذا بتضافرهم معا ولا يقتصر إلا على واحدة من تلك.

وتعد دراسة الإمام الزرقاني من بين أعمق الدراسات التي تناولت القرآن وما يتعلق به من جوانب نسقية كترتيب آيات القرآن وسوره وأسلوبه و إعجازه.

غير ذلك فإنه لم يعتمد على التأويل وإنما فضل الترجيح والميل لأحد الأقوال و إثباتها في مسائل علوم القرآن وذلك في قضية النسخ و أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن الكريم.

وفي الجانب السياقي توسع المؤلف في طرح الشبهات والرد عليها مع الأدلة.

والسياق بأنواعه لا غنى لأي نص لغوي عنه في فهم المعنى المراد، وهذا يتجلى بصورة أوضح وأكمل في النص القرآني، وقد اعتمد عليه المفسرون، والبلاغيون، وكل من له صلة بالنص القرآني في فهم ما ترمي إليه الآية أو السورة من معاني ودلالات وأحكام.

فقد طرح مسائل خلافية وما دار حولها من أقوال العلماء، وأسباب نزول القرآن وفي المكي و المدني منه وترتيب آياته وسوره.

وفي المطلبين الآخرين من الفصل الثاني وهما في القراءات والقراء وفي التفسير والمفسرين ذكر لنا تاريخ كل قارئ من هؤلاء العشر ذاكر لنا كل إمام شيوخه الذي نقل عنهم ورواته الذين رووا عنه وأشهر من روي قراءته ومنهج كل إمام في القراءة. وفي قسم التفسير تحدث فيه عن بدايته عند الصحابة إلى غاية وصوله إلى أشهر المفسرين من بينهم ابن جرير.

مناهل العرفان من أسمى الكتب الشاملة لمعايير النصية.

اقتراحات وتوصيات:

ومجمل التوصيات التي يمكن أن نخرج بها من خلال هذا البحث:

-إلى الباحثين الذين لهم عناية بالقرآن وعلومه أن يأخذوا بعين الاعتبار استقراء الشبهات في كتاب مناهل العرفان، وجمعها في بحث علمي.

-الإعتناء بكتاب مناهل العرفان في المناهج الدراسية والأكاديمية وكذلك المدارس القرآنية لما له من القيمة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1 -إتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية(د.ت)،

2 -أساس البلاغة، محمد بن عمرو الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1998.

3 -أسباب النزول: للواحدي، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، درا الصلاح، السعودية ط2، 1412ه/1992م .

4 -البرهان في علوم القرآن للزكرشي، تح: أبو الفضل ابراهي، دار التراث مصر، 1984، ط2.

5 -التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج 2، الدار التونسية للنشر، 1984.

6 -تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993/1413.

7 -تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثمين، المجلد الأول، دار ابن الجوزي، د ط، د ت.

8 -تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1398ه/1978م، (د.ط).

9 -الدر المنشور في التفسير المأثور، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي دار الفكر، بيروت.لبنان. ج1 ، 1432هـ/2011م.

10 -الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

11 -المعجم التعريفات، الشريف الجرجاني: تح: إبراهيم أبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لينان، ط4، 1998.

12 -فضائل القرآن لابن كثير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1416ه.

13 -مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، تح : فواز أحمد زمرلي، ج 2 ، دار الكتاب العربي بيروت ط 1 ، 1435 ه / 1995 م .
14 -مختار الصحاح، محمد أبو بكر الرازي، ط1، دار الفكر، لبنان،2001

ثانيا:المعاجم.

15 -القاموس المحيط، الفيروز أبادي: دار الحديث القاهرة، 1429 ه، 2008م، ط1، تع: أسسه محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد.
1 -كتاب الدين ، الفراهيدي الخليل بن أحمد ، تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، لبنان ، بيروت ، دار مكتبة الهلال.
2 -لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، النيل القاهرة، 10 أبريل 2007، ط1.
3 -لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار الصابر بيروت، ج1، ط1، 1414ه/1994م
4 -لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991
5 -أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة لبنان، بيروت ط1، 1996.
6 -المعجم الأدبي، عبد النور جبور، بيروت دار العلم للملايين، ط1/ 1979.
7 -معجم العين، الخليل أحم الفراهيدي: تح عبد الحميد هنداوي، ج 4،دار الكتب العلمية، ببيروت لبنان ط 1، 1424 ه، 2003 م.
8 -معجم القواعد العربية في النحو والصرف، عبد الغني الدقر، دار القلم دمشق، ط1، 1406ه/1986م .
9 -المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.
10 -معجم الوسيط، ط4، 1429 هـ /2008 م، مكتبة الشروق الدولية.
11 -مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء، تع: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ط)، 1979.

ثالثا: المراجع:

1 -الإبانة عن معاني القراءات، المكي بن أبي طالب حموش القيسي، تح: د/ عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر،د ط، د ت.

2 -جمال البيان في علوم القرآن الكريم، د: عبد الله أحمد حميدي، ط2، 1374ه/2006م. دار الكتب الوطنية،بنغازي ليبيا.

3 -أسلوبية وتحليل الخطاب، منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002 .

4 -إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1973م.

5 -انتصار للقرآن، أبي بكر الباقلاني، تع:د. محمد عصام قضاة، دار ابن حزم، بيروت، بينان، ط1، 1422ه/2001م..

6 -الأنساب، الأسمعي، ج5 دار الجنان، الأردن، عمان ط1، تع: عبد الله عمر البارودي، 1408ه/1988م، ص376

7 -الآيات المنسوخة في القرآن الكريم، محمد الأمين الشنطيقي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ط، د ت.

8 -إيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه أبي محمد نكي بن أبي طالب القيسي، تع: أحمد حسن فرحات، دار المنارة جدة، ط1، 1406ه/1986م.

9 -الأسلوبية، بيير غيرو _ ترجمة: منذر العياشي، ط2، 1994، دار الحاسوب للطباعة حلب سوريا.

10 -الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنوين، أحمد خالد شكري، (د.ط)(د.ت،) كلية الشريعة بجامعة الشريع.

11 -تسهيل علم القراءات الجامع لكل من طريقتي الشاطبية والدرة والطيبة، الأستاذ أيمن بقلة، ط1، 1430ه-2009، (د د ن).

12 -التسهيل لعلوم التنزيل، أبي القاسم الكلبي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415ه/1995م.

13 -التسيير في قواعد علم التفسير لمحي الدين محمد حسين الذهبي مكتبة القدسي، القاهرة، ط1، 1419ه/1998م،.

14 -التفسير والمفسرين د: محمد حسين الذهبي ج1، د ط، د ت، مكتبة وهبة.
15 -التوقيف في مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، 1990.
16 -جمال القراء، فصول في آداب أهل القرآن الكريم، إبراهيم الحميضي، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1434ه.
17 -جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سليمان العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (د.ط)، (د.ت).
18 -جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، عبد القيوم السندي، جامعة أم القرى بمكة (3.ط)، (د.ت) .
19 -دراسات في علوم القرآن الكريم د فهد الرومي. ط14 ،1426ه /2005 م مكتبة الملك فهد الوطنية.
20 -دور الكلمة في اللغة، ستيف اولمان، تر: كمال بشر ، دار غريب للنشر، ط12 ، 1997 .
21 -رسالة في الوعظ وإرشاد وطرق هما ، عبد العظيم الزرقاني ، تح . عبد القادر المهدي ، د ط. زواقد، 2012 م .
22 -الروض المعطر في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تح/ دكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975.
23 -سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي الضباع، ط1 صندوق بوستة العورية، مصر، د ت.
24 -علم القراءات، نشأته وأطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل أل إسماعيل مكتبة التوبة الرياض. السعودية، ط 1، 1421هـ/ 2000م.
25 -علوم القرآن الصف الأولى ثانوي، مدارس تحفيظ القرآن، وزارة التربية والتعليم الرياض، 1428ه-2007م..
26 -علوم القرآن الكريم، د: نورا لدين عنتر ، ط1 ، مطبعة دمشق 1414 هـ/1993 م .
27 -علوم القرآن د.عبد الفتاح أبو سنة، دار الشروق، القاهرة، ط1. 1416ه/1990م.

28 -علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، د.عدنان محمد زرزور. المكتب الإسلامي بيروت بدمشق، ط1.1401ه/1987م.
29 -علوم القرآن، السيد محمد باقر حكيم، ط3، مجمع الفكر الإسلامي، د ت.
30 -علوم القران، د: عبد الله محمود شحاتة، دار غريب القاهرة، د ط ، د ت.
31 -عمدة الحفاظ، في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تع: محمد باسل عيون السور، ج2،ك11447ه/1996م، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
32 -فهم القرآن ومعانيه، الإمام الحارث بن أسد المحاسبي: تح خالد رمضان أحمد، ط1، 1436ه/2015م، (د.ن) .
33 -في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، د: السيد رزق الطويل، مكتبة الفضيلة مكة المكرمة ، ط 1 ، 1405 هـ / 1985 م.
34 -كتاب النسخ و المنسوخ، النحاس أبو جعفر، مصر، القاهرة، مكتبة الإعلامية (1357، 1936 م).
35 -الكليات، أبو البقاء الكفوي، تج: عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة، لبنان، (د.ط) 1998.
36 -لطائف الإشارات لفنون القراءات، لأبن أبي العباس أحمد القسطلاني، د ط ، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة ، 1434 هـ .
37 -مباحث في علوم القرآن.لمناع القطان، دار السعودية للنشر (د.ط).(د.ت).
38 -مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، دار العريف للعلوم ناشرون (د ط)، (د ت).
39 -مدخل إلى علم لغة النص، روبير ديبوجراند ولفغانغ دريسلر، ترجمة أبو غزالة وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1992.
40 -مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) ، خالد بن عثمان السبت . د ط ، دار بن عفان ، د ت .
41 -مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) ، خالد السبت ، ج ص 44 والأعلام الزكلي ، ج6 .
42 -المدخل إلى علوم القرآن، لكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن حلب، ط1، 1426، 2005.

43 -مدخل إلى مناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة لأخر، المركز الثقافي العربي، ط2 ، مغرب، 1986 .
44 -مدخل تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرور، دار القلم، دمشق بيروت، ط2، 1419ه/1998م.
45 -مدخل متداخل الاختصاصات، جون فان دايك، علم النص، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001.
46 -المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت 1977 .
47 -المعتمدة في أصول الفقه، البصري أبو الحسين محمد بن علي ، تح : خليل الحسين لبنان ، ط1 ، 1403 ه .
48 -مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كيري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مجلد 2. ط 1 ، 1405 هـ /1985 م.
49 -مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، مصر، الطبعة الأولى(1356-1937)، دار النشر البابي الحلبي وأولاده .
50 -مفتاح النص من القراءة إلى التنظير، شركة للنشر، مغرب، ط1، 2000.
51 -مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج1، مكتبة نزار مصطفى البارز (د.ت)، (د.ط).
52 -المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد، تج: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
53 -المفسرون من الصحابة جمعا ودراسة وصيغة لـ : عبد الرحمن عادل عبد العال رشد ج 1 ، الرياض، ط 1 ، 1437 هـ/2016 م.
54 -مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية نشرها من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب برلين، ودار الكتب المصرية وقف تصحيحها وطبعها آرثر جيفري، 1954، د.ط.
55 -المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، 1420ه/1999م.

56 -المكي والمدني في القرآن الكريم، محمد عبد الرحمان الشايع، مكتبة الملك رياض، ط1 ، 1428ه/1997م.
57 -مونتاجية في أدبية الأدب ، عز الدين المناصرة، علم الشعريات قراءة دار مجدلاوي، عمان ط1، 2007 م.
58 -الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم أبو بكر بن العربي المالكي، تحقيق عبد الكبير العلوي، المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، 1413، 1992، ط1.
59 -الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حرم الأندلسي ، تح : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، د.ط ، د.ت.
60 -الناسخ والمنسوخ في كتاب اله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، ج1 (دط)، تح: د. سليمان بن إبراهيم بن عبد الله، دار النشر، مؤسسة الرسالة.
61 -النسخ في القرآن بين المؤيدين والمعارضين، محمد دندا، الدار العربية للكتاب، ط1، 1418ه، 1996.
62 -النسق الدرامي في شعر فوزي كريم، رحيم خريبط عطرية الساعدي، مازن عبد الحسين مشكور الظالمي، كلية الآداب جامعة الكوفة .
63 -نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد المنعم خليل دار الوفاء الدين، الطباعة والنشر، ط1 2007، الإسكندرية.
64 -نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الأزهر الزناد: بيروت، لبنان، ط1، 1993.
65 -النص والخطاب والإجراء، روبيرد دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000.
66 -النص وبنياته ووظائفه (مدخل أولي إلى علم النص)، فان ديك: ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996.
67 -نواسخ القرآن لابن الجوزي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط2، 1423، 2003، تح: د/محمد أشرف علي الملباري.
68 -ورقات في لسانيات النص، رزيق بوزغاية ، دار المثقف، باتنة، 2018.

ثالثا: المجلات:

69 - أنساق الثقافية في أدب بلاد الرافدين ، جاسم حميد جودة الطائي ، هبة محمد صبكان ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، 2015 .
70 - مقال حول الانسجام النصي وأدواته، للأستاذ الطيب العزالي قواوه، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد8، 2012.

رابعا: ملتقيات ومحاضرات:

71 - محاضرات في مقياس علوم القرآن، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس (ل م د) د: إلياس بليج، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة1، كلية الآداب واللغات، 2020_2019.

المراجع الأجنبية:

72- Georges Mounin et autre : dictionnaire de linguistique, DVE paris, 42 édition 2004.
73- Jean dubois et autres : dictionnaire de linguistique et des sciences des langages, la rouss ; Bordas, 1999
74- Jean Michel Adam : Eléments de linguistique textuelle, Théorie et pratique de l'analuse textuelle, piere Mardaga, Luxembourg, 1990.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	-
شكر وعرفان	-
مقدمة	أ-ج
مدخل: المفاهيم الأساسية	
أولا: في مفهوم النص	01
1-النص في المعاجم العربية	01
2-النص في اصطلاح العرب القدامى	03
3-النص في الدراسات الحديثة	04
ثانيا: في مفهوم النصية	06
1-معايير النصية	07
الفصل الأول: المعالم النسقية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن	
تمهيد.	11
1- التعريف بالإمام الزرقاني	11
2- التعريف بكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن	12
3- التعريف بالمعالم النسقية	13
المطلب الأول: الناسخ والمنسوخ	17
1-الناسخ لغة	17
2-النسخ اصطلاحا	17
3-نماذج من كتاب العرفان في علوم القرآن	18
المطلب الثاني: في ترتيب آيات القرآن وسوره	25
1-مفهوم الآية	25
2-طريقة معرفة الآية	26

	3-فوائد معرفة الآية	26
	4-ترتيب آيات القرآن	27
	5-مفهوم السورة .	28
	6-حكمة تسوير السورة .	29
	المطلب الثالث: في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه وما يتعلق بذلك	31
	1-كتابة القرآن	31
	2-رسم المصحف	31
	3-قواعد رسم المصحف	32
	المطلب الرابع: في محكم القرآن و متشابهه	37
	1-القرآن محكم ومتشابه	38
	2-منشأ التشابه وأقسامه	39
	المطلب الخامس: في أسلوب القرآن الكريم	42
	1- الأسلوب في اللغة	43
	2-الأسلوب في الإصطلاح	43
	3- معنى الأسلوب في القرآن	43
	4-خصائص أسلوب القرآن	44
	المطلب السادس: في إعجاز القرآن وما يتعلق به	47
	1- تعريف الإعجاز في القرآن الكريم	47
	2- وجوه الإعجاز	49
الفصل الثاني: المعالم السياقية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن		
	تمهيد	52
	1- المعالم السياقية	52
	المطلب الأول: في نزول القرآن	55
	1-مفهوم نزول القرآن	55
	2-تنزلات القرآن	56
	3-مدة هذا النزول	57

	المطلب الثاني: أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن	59
	1-أول ما نزل على الإطلاق	60
	2-آخر ما نزل على الإطلاق	62
	المطلب الثالث: في أسباب النزول	64
	1-مفهوم سبب النزول	64
	2-فوائد سبب النزول	65
	3-طريقة معرفة سبب النزول	66
	4-تعدد الأسباب و النازل واحد	67
	5-تعدد النازل والسبب واحد	68
	6-العموم و الخصوص بين لفظ الشارع و سببه	69
	المطلب الرابع: في المكي و المدني من القرآن الكريم	70
	1-مفهوم المكي و المدني لغويا	70
	2-اصطلاحات في المكي و المدني	71
	3-فوائد العلم بالمكي و المدني	72
	4-الظوابط التي يعرف بها المكي و المدني	73
	5-السور المكية و المدنية والمختلف فيها	75
	المطلب الخامس: في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به	76
	1-مفهوم جمع القرآن	76
	2-الجمع الأول: جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	77
	3-الجمع الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه	78
	4-الجمع الثالث: جمع القرآن على عهد عثمان -رضي الله عنه-	80
	المطلب السادس: في القراءات والقراء والشبهات التي أثيرت في هذا المقام.	83
	1- تعريف القراءات	83
	2-نشأة علم القراءات	84

	3-طبقات الحفاظ المقرئين الأوائل:	85
	4-القراء السبعة رحمهم الله:	86
	المطلب السابع: في التفسير والمفسرين وما يتعلق به:	90
	1- مفهوم التفسير:	90
	2- التأويل:	91
	3- أقسام التفسير:	92
	4- المفسرون من الصحابة	93
	5- تدوين التفسير بالمأثور وخصائص الكتب المؤلف في ذلك	94
	خاتمة	97
	قائمة المصادر والراجع	100
	الفهرس	-
	الملخص	-

مناهل العرفان
في
علوم القرآن

بقلم
الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد
بكلية أصول الدين سابقًا

حققه واعتنى به
فواز أحمد زمرلي
عفا الله عنه

الجزء الأول

الناشر
دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ ١٩٩٥م

دار الكتاب العربي

الطابق الثامن - بناية بنك بيبلوس - فردان - تلفون: ٨٦١١٧٨/٨٠٠٨١١/٨٦٢٩٠٥
تلفاكس: ٧٨١٤٣١ (١٤١٢) تلكس: ٤٤٠١٣٩ LE كتاب برقيا: الكتاب. ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت. لبنان

مناهل العرفان
في
علوم القرآن

بقلم
الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد
بكلية أصول الدين سابقًا

حققه واعتنى به
فواز أحمد زمرلي
عفا الله عنه

الجزء الثاني

الناشر
دار الكتاب العربي

ملخص

تطرقنا في بحثنا المعنون ب: "المعا لم النصية في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني" إلى التعريف بالإمام الزرقاني، وكتابه مناهل العرفان في علوم القرآن، ثم إلى دراسة المباحث التي تناولها في كتابه المؤلف من جزئين والتي قسمناها إلى قسمين قسم في الفصل الأول وهو المعالم النسقية، ويشمل: الناسخ و المنسوخ وفي ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره و في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه و في محكم القرآن ومتشابهه وفي أسلوب القرآن الكريم وفي إعجاز القرآن وما يتعلق به. والقسم الثاني في الفصل الثاني وهو المعالم السياقية ويحتوي أيضا على: في نزول القرآن وفي أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن وفي أسباب النزول وفي المكي و المدني من القرآن الكريم و في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به وفي القراءات القراء والشبهات فيهما وفي التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما.

وختمناه بمجموعة من النتائج القيمة، من بينها أن الكتاب يحتوي على جل الدراسات المتعلقة بعلوم القرآن نسقية كانت أم سياقية، في الجانب السياقي توسع المؤلف في طرح الشبهات والرد عليها مع الأدلة. وأما الجانب النسقي فالنص القرآني معجزا بنظمه وتماسك تراكيبه، وتضافر معانيه وألفاظه.

الملخص باللغة الفرنسية

résu mé

Dans notre recherche intitulée: " Normes textuelles dans le livre des maniabilités de l'ignorance dans les sciences du Coran par Al-Zarqani ", nous avons discuté de la définition de l'imam Al-Zarqani et de son livre " Les sources de l'ignorance dans les sciences du Coran", puis à l'étude des investigations qu'il a traitées dans son livre en deux parties, que nous avons divisé en deux parties, une section dans le premier chapitre, qui est des caractéristiques textuelles, y compris : l'abrogation et abrogé, dans l'arrangement des versets et des sourates du Noble Coran, dans l'écriture et le dessin du Coran et de ses copies, dans le texte du Coran et ses similitudes, dans le style du Noble Coran , et dans le caractère miraculeux du Coran et de ce qui s'y rapporte. Et la deuxième section du deuxième chapitre, qui est les caractéristiques contextuelles, et elle contient également : Sur la révélation du Coran, la première chose qui a été révélée et la dernière du Coran révélée, les raisons de sa révélation, le Maki et Madani du Saint Coran, la collection du Saint Coran et ce qui s'y rapporte, les lectures des récitants et les soupçons en eux, et l'interprétation et les interprètes et liés à eux.

Nous l'avons conclu par un ensemble de résultats précieux, notamment que le livre contient la plupart des études liées aux sciences du Coran, qu'elles soient systématiques ou contextuelles. Dans l'aspect contextuel, l'auteur s'est étendu sur le fait d'éveiller les soupçons et d'y répondre avec preuve. Quant à l'aspect textuel, le texte coranique est miraculeux par son organisation et la cohérence de ses structures, et l'entrelacement de ses sens et expressions.